



أوراق على قارعة الروح

منى عز الدين

أوراق على قارعة الروح

منى عز الدين

تدقيق وغلاف: رنبال الدمشقي

تصميم داخلي: فاطمة الزهراء

رقم الإيداع: 2019/16665

الترقيم الدولي: 978/977_835_135_4

زحمة كتاب / اسكرايب للنشر والتوزيع

Email : Scribe20199@gmail.com

الهاتف: 01099727510

جميع الحقوق محفوظة



☆ إهداء ☆

إلى الثلاثة عشر كوكبا الذين يطوفون في سماء روجي؛
-أبي.. أمي.. وإخوتي؛ الدفاء والسند وخير منبت..
-زوجي.. أبنائي.. وابنتي؛ الحب والسعادة لروحي إلى الأبد..
إلى من وثقت بحرفي فتيا وقالت لي ستصبحين أديبة يوما
معلمتي (بارعة رمضان)

إلى من علمني أن الحرف أمانة وكتم كلمة الحق خيانة
الأستاذ خالد أمين
(رئبال الدمشقي).

أما أنتِ فكيف أهديكِ وأنتِ تتقافزين بين الحرف والحرف، من
نهرك المداد، ومن ذرا قاسيونك نثرت الفواصل والنقاط لكل ما يأتي
من خطرات

(سوريتي)

أنت الإهداء وكل الكلام.. ودعائي لك هو مسك الختام.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين أما بعد:

إن أكثر ما أشغل أفئدة الناس على مر العصور، وجعل من بينهم أقلاما
تنزف وجعا، وتحتبر من دواة القلوب..

(جرح وغربة الأوطان)

الأستاذة القديرة "منى عز الدين" ابنة الشام البارة، لم تنطفئ لديها
يوما تلك الشعلة التي تلهب صدرها من أنات وطنها الجريح، ولم يبرد
حر لظى الشوق لبعدها عنه ساعة..

فكتب منها الفؤاد قبل القلم..

(أوراق على قارعة الروح)

الأستاذة "منى عز الدين" قلم عرفناه وأشاد به الكثير من الأدباء
والنقاد في العالم العربي..

ولا سيما في المجال القصصي والنثرية الروحية..

تميزت بحسها المرهف، وجزالة اللغة، وبجمالية وقوع الكلمة في
محلها..

فأثرت وأثرت، ووصلت وأوصلت..

نتمنى لها دوام النجاح والتوفيق الدائم، ومستقبلا زاهرا واعدة بالمزيد
من أعمالها..

أ.خالد أمين

{رئبال الدمشقي}

مقدمة

وحده الصمت قادر على تحفيز الصوت بداخلك تحت وطأة متلازمة
الكتابة والشعور؛ فقد ينمو شيء ما في داخلك فجأة يتجاوز الحنجرة
ليتفرع في الرأس

عصبونات أردفت الحواس وضاعفت الإحساس

في الأذن اليمين خريير مياه بردي يعزف

وفي الأذن اليسار تكبيرات المآذن الدمشقية تنزف

في الأنف رائحة اختلط فيها تفاح الزبداني مع الياسمين الشامي

وملء النظر قاسيون و السيف الأموي وجامعه بالطهر مشحون

وعلى أديم اليد شذرات تبر من ثراها المختوم

فجأة أترك كل الحواس وأنصرف إلى نبضات القلب المطمئنة بالله؛

هنا في ثناياه عمر كامل لا أدري إن كنت قد تجاوزت منتصفه أو ثلثيه

أو ربما أنا في النزع الأخير

في لحظة الوجد تلك الضاجة بالمشاعر والعقل الصاخب بالأسئلة

استجبتُ لرغبتِي الملحة في حديث النفس مع الذات وجعل روعي

وأرواح من مر بي مدادا لقلم سطر..

أوراق على قارعة الروح

فكان هذا الكتاب على عدة أبواب؛

في كل باب قصة قصيرة يليها ما يحاكيها من خواطر،

وماحياتنا إلا أحداث على مفارق الدروب وفيض خاطر.

بعضها أحداث وطن.. وبعضها قهر زمن وبعضها منح في قلب
المحن..

قد يشوب بعضها سواد الألم لكن لم ولن أغفل بصمة الأمل..

"منى عزالدين"

سوريا /ريف دمشق /مواليد ١٩٧٥

-أستاذة في اللغة العربية.

-الإقامة

ألمانيا /مقاطعة شمال الراين / كولن

تم بحمد الله في:

20/8/2019



خريطة

بعض الأسئلة البسيطة تأخذك في رحلة عبر الزمن، تجعلك تراجع كتاب حياتك، فتقف مذهولاً من شدة الألم.

في سؤال اعتيادي_ يُسأل كل مهاجر في بداية مراحل تعلمه للغة البلد المهاجر إليها، سؤال نظنه سخيلاً، ويرونه ضرورياً للتعريف بهويتك الشخصية، لا يتعلق بصفاتك الخارجية وإنما بتقاسيمك الداخلية_وقفتُ أمام المعلمة عاجزاً وأنا أحاول فتح سجلات ذاكرتي لأغشّ منها بجواب، رغم بدهة السؤال الذي كنت أجيب عليه وأنا طفلة بكل برود ونمطية، لكنني الآن أشعر بالمسؤولية عن موضوعيته وصدقه.

لابد أن الفضول خيل لكم سؤالاً خارقاً، المفارقة هنا أنه لم يكن خارقاً،

لم يتعدّ الكلمتين

ما هواياتك؟

خطر لي أن أجيبها ذلك الجواب التقليدي الذي كنا نقذفه دون أدنى تفكير (المطالعة) لكنني أحجمت، ربما لأنني الآن أمام ثقافة جديدة

فكيف أناقشها فيما أقرأ وأنا لازلت أحبو في عالم المفردات الألمانية،
وأعاني الأمرين في تشكيل جملةٍ مراقبةً ردة فعل السامع لأتحرى إن
كانت صحيحة أم لا؟

أو ربما لأنني كنت أقرأ من هنا وهناك دون تعمق في أي شيء فما كانت
حصيلتي إلا قليل قشور، وهذا السبب الأرجح، إذ افتقدت الدفة في
ذلك الإبحار فعزّ على شاطئ الوصول.

إذن لأبحث عن هواية أخرى؛

موسيقا؟ لأحبها

رياضة؟ لا أمارسها

رسم؟ لا أتقنه

كتابة؟ ليس عندي الجلد والصبر لإتمام أي شيء بدأته.

رفعت المعلمة خصلة شقراء عن جبينها معيدةً تسويتها مع شعرها
بحركةٍ فهمت منها تمللمها من الانتظار، رغم أنها حاولت ستره
بابتسامة مشجعة، صار لزاما عليّ بعدها الإجابة بعد رحلة بحث
اكتشفت فيها كم فقيرة أنا في مقياس المهارات، المعلومات
والإنجازات.

في محاولة منها لكسر الصمت سألتني: ماذا تحبين أن تفعلي وما الذي
لا تحبين فعله؟

وعدت من جديد إلى دوامة، لم يكن عندي فرز لهذه الأمور، لطالما فعلت ما عليّ فعله ولم أمارس الأعمال أو أحجم عنها بدافع حب أو كره، أستيقظ صباحاً لأضع الفطور و أنظف الأطباق، أسرع إلى المدرسة حيث أقوم هناك بما ينبغي وما تعودنا عمله روتينياً، أعود إلى البيت للتفكير بوجبة الغداء، ومن ثم أؤدي الواجبات الاجتماعية التي حفر قانونٌ ما في ذهني أنها واجبة علي، وكأن أمامي آثار خطوات في مشوار الحياة كل ما أفعله أنني أضع قدمي مكان الأثر وأتابع.

قطعت المشوار المعلمة بضحكة مجلجلة قائلة؛

أين وصلت ؟

قلت؛

-إنني أنظر موقع قدمي، لا أرفع رأسي لأنظر للأمام ، ولا ألوي عنقي للخلف، فقد يبتلع الطريق الآثار وأتوه بعدها

تردد الضحك في القاعة، ضحكات عالية تيقنت عندها أنني أكملت حديث نفسي- بصوتٍ عالٍ دون أن أشعر ، وتناثرت أوراق حولي من المستظرفين وهم يقولون؛

- إليك الخريطة يا "سانتياغو" وهيا أكملني البحث عن كنزك.

طفرت من عيني دمعة وقلت للمعلمة بلغة ألمانية متكسرة كنفسيتي حينها؛

- يوما ما كنت أضحك مثلهم، وعندما أدركتُ أننا أضعنا خريطتنا
بكيث.

كم مؤلّم منظر الحقول المقفرة في أيام الحصاد
كم مؤلّم في ذلك الموسم أن نندم على عدم البذار.

غور

في حنايا الروح
أسمع وحدي
دبيب الألم
أشتتُ رائحة
حريق الندم
أتذوقه بطعم
العلقم
أشبع به مسام
الحواس حتى القمم
ومن ثم
أخرجُ بضحكةٍ للعلن
وأبيع صحف الأمل
كاذبةً أنا

لستُ كما أعلن
مخدوعون أنتم
بترانيم القلم
تظنون أمامكم
جبلا فيه شمم
وما هو إلا بركان
داخلة الحمم.

لا تُنسى

على أحلامنا..

على آمالنا..

على آلامنا

يمر بخطواته

الزمن

تارةً بخفةٍ

وأخرى بثقل

ويدس في جيوب

الذاكرة ضحكة هنا

إليها يطير القلب

عندما يضيق

الواقع بما حمل

ودمعة هناك

اعتصرتها

أحداث ومحن
بحلوها
بمرها
مرت وأصبحت
هيكل ذكرى
يتفتت
مع ربح الأوقات
ويُنسى على مهل
تُنسى كلها الضحكات
وتجف تلك الدمعات
ويبقى في الذكريات
شيء ما
لا يُنسى
يطفو على السطح

نذكره بأسى

ذلك الشيء
مر دون أن تضعه
تحت عنوان..
لا بكيت عنده
فأخرجت
مافيك من غل
ولا ضحكت
ليكون من النسيان
ذلك الذي مر
دون أن تحسم فيه الأمر
بفرح أو حزن
لايمر
ويبقى ندبٌ

لا يُنسى

ذلك اللاشعور
الذي عجز فيه الدمع
وخجل منه الضحك
أقوى من كل شعور

ولا يُنسى

أن تمر الأوقات
على حافة الحياة
وكأنها لاتعنيك
كل ما في الدنيا
من إحساس لا يغنيك

أن تبقى في

برزخ الشعور

لا إلى الحزن تنضم

ولا تحت

غروب

قد تستدين منك الحياة بعض أمنيات النهار؛
لتعيدها وقت الغروب على شكل أحلام
تغازل عينيك المتثابة في إرهاصاتٍ لنوم عميق.
ما بين غمضة عين وانتباهتها؛
تلحظ تداخل أحلامك مع شفق أيامك الغابرة
فتأخذك بعض الرعشة في صحوة الموت تلك.
وربما تغبط للحظة أولئك الذين أخلدوا إلى نومهم الأبدي
دفعَةً واحدة دون مقدمات.
لكنّ آخر أشعة الشمس يداعبك هامساً
لعله خير
ربما هي فرصة لتعطر فراشك
وتطهر حواسك بوضوء وصلاة،
قبل أن تستسلم لنوم عميقٍ
عميق ربما منه لن تستفيق.

ما نجد

وتظن لوهلة أنك كبرت
وذلك الجدار الذي
كنت تستند إليه في طفولتك
ودعت
أنت الآن قوي بما يكفي
لتسير وحدك
كبير جداً لدرجة أنه
من المطلوب منك
أن تسند غيرك
أن تكون الجدار الذي
يحفظ دعائم عائلتك
أن تكون القدوة
المثلى فلا يرون إلا
قوتك

ولأوقات طويلة
بالنجاح تقنع نفسك
أترآك حقاً نجحت!!
وعن دعائم طفولتك
استغنيت!؟
رويدك لا تجب
ربما تكون في الحكم
تسرت
ربما صوتٌ واحدٌ
من أرشيف ذاكرتك
أو نغمة متناثرة
تحت ثنايا جلدك
تقرع باب قلبك
وتهمس في أذن روحك
(مانجحت).

زقاق السنين

زقاق ضيق

ربما يؤدي لشوارع حياة

فوانيس محطمة على الجدران

وأيايٍ تتحسس المكان

وطرقات أحذية السنين

تصك الأذان

هنا قنطرة تقوست بحنين

وهناك سبيل ماء للواردين

وهذا جدار تصدع

وآخر جلّله الياسمين

ومن نافذة يعزف الحنان

وأخرى تُسَرَّب دخان

وعلى مصطبة هناك

تجمعت الحكايات

ممهورةً مرةً بفاكهةٍ حرام
وأخرى بلبنٍ سائغٍ للشاربين
من هناك كنا وغيرنا من المارين
تناول بعضنا الفول النابت
من الباعة الجوالين
و آخرون نظروا بازدراء
وولوا مدبرين
ظنهم أن يغيروا المواقع
فتقشرت الجدران عن الواقع
تبدلت الملامح والسكان
ودهشة غريبة ملأت المكان
ولا نعلم إلى الآن لماذا يمر
بنا الزمان هناك مشدوهين.

روح مزعة

على غير موعد مع الزمن،
وبلا إرهاصات دجن؛
هكذا فجأة يظلم الطريق ،
تفقد الأمور بهرجتها والأشخاص بريقهم،
وتلف الجميع غيمة رمادية تغزو عينك
وترفض أن تمطر لتخفف الأثقال.
فتقف واجماً أمام حقيقتك ساهماً،
تحاول أن ترتدي ابتسامتك المعهودة،
أن تدفع بالود حروفك ،
أن ترمش ولو للحظة لتسمح لجمود عينك أن يتكسر فتفشل
وتتسمر في مكانك بوقوف برزخي الروح.
وصدى صوت جرج مبوح،
لا تدري هل هو قادم من الروح
أم من تواتر آخر صوت حقيقي أصدرته وبوح؛

أنت لست من هنا، ولا هذا هو الطريق

أنت تسير على ضباب

وكيف تتلمس طريقك في هذا العباب

كيف تميز الأصحاب؟

وأنت لا تملك منهم إلا نصف وقت

نصف وجه

نصف كلام

ونصف جروح

ونصف أثقال أتعبت من الفكر الهام

وألف ألف إشارة استفهام

تتكاثر فيك ليطال هدفك الضباب

وتضع مشاعرك في ذمة الغياب

ها أنت مع وجهك الخالي من الأقنعة

وروحك التي أمطرت عليها الهموم و الخيبات؛

أزالت مساحيق التجميل لتبدو باللاشيء مترعة.

خيوط القمر

هناك في لجة
الموج العنيد
خانتك قوتك
خانك الشراع
وكان طريقك
محض ضياع
ولم يكن لك
بالعوم باع عتيد..

نحو الشط
أردت الرجوع
لكن قوتك في خنوع
والبر بعيد بعيد..
لا تستسلمي للخدر

ونحو القمر سددي النظر
إنه يرخي حباله
ليشد المياه بالجزر
ها أنت على البر من جديد..
لكنك وحيدة
بلا زاد
بلا قوة بلا إمداد
وسكن روحك لا زال بعيد..
إنما الله ليس لطفه ببعيد
نخل رحمته
وسع النظر
تساقط رطباً جنياً
لكل البشر
ففي حضرة رحمته كل شيءٍ سعيد.

عندما نكبر

نتعلم كيف يكون الوداع على ذمة الحضور،
لم تعد تستهويننا مراسم الوداع ولا آخر تلويحة أو التفاتة.
نحمل حقائب قلبنا ونهاجر،
قد تجمعننا اللقاءات، وأحاديث وبعض ذكريات،
وربما نظرات لكن؛
ما نفع النظر إذا القلب التفت.

عندما نكبر؛

نتعلم فن الخطوات
وما عاد يستهويننا عطاء التضحيات،
شيئاً فشيئاً نتعلم أن نعطي بقدر.
فبعض السخاء في العطاء قد يزيف حولك الفِكر..

عندما نكبر؛

نتقن رسم الابتسام وفي القلب آلام.
لم يعد يستهويننا البكاء ولا شفقة الأعداء.
لم يعد يستهويننا العتاب فقد استنفذنا الأعذار السبعين،
ومن الغباء أن نستمر في سماع ما بعد السبعين..

عندما نكبر؛

نتقن التمثيل، ونعطيهم ما يشاؤون من تقدير .
لم يعد يستهويننا وضع النقاط على الحروف،
ولا بات من أولوياتنا أن يروا وجوههم على المكشوف.
تعلمنا من آداب الزيارة ألا نكشف الستارة؛
فاصنعوا خلفها ما تشاؤون ونحن نرى ما نشاء
ونغض الطرف عن أشياء.

عندما نكبر؛

نتأسى بتلك الدول التي لها عظمة وقدر ،
ونتحلى بالقوة الناعمة؛

لا صراخ لا نهر لا استعراض عضلات،
قوة الجبال خلف تلك البسمات ولطيف العبارات؛
ابتسامة تقول لك اقترب بحذر و عند الغلط أنت في خطر.

عندما نكبر؛

تكبر معنا مساحات الداخل،
وتغور الأحاديث في مسارب ومجاهل ،
ولا نصدر منها إلا بعض عناوين للظاهر.
وعمداً لا نرفقها بشرح وتعليل ،
فما عاد مهماً أن تقنهم
ولا على صورتك في نظرهم عاد التعويل..

عندما نكبر؛ وقد نكبر في ساعة أو تجربة؛
وليس من الضروري الكثير من سنوات العمر
فبعض التجارب لسنواتنا هبة.

على درب الاغتراب

على درب الاغتراب البئيس
صُلبت خطواتنا في محطاتِ بلا أنيس
كم سرقت منا تلك المحطات الحزينة !
كم عبرنا من وجوه وكم عبرت فينا وجوه
وكم درساً مع كل عبور
لم يرض بغير القهر ضريبةً للدخول
كم ندمنا على أول سلام عند سلام الختام
لأننا بحثنا في سراب وجوههم عن بعض أوطان
بعض ملامح من صداقات سرقها الزمان
بعض تربيت يعوض عن دفء يد القريب
وآذانٍ تعوض جلسات فضفضة لصديق
وكسرة خبز لجوع روح في عراء الطريق
تأملنا كثيراً وكانت حفاوتنا بهم كبيرة
وكم آلمتنا ال (كثيراً)

في محطتنا الأخيرة
عليها لافتة بحروف كبيرة
غريب أنت وكانوا كلهم عابرين.

أوراق على قارعة الطريف

ابنة الطبيعة أنا

وروجي قد سرقت منها الفصول

لم تكن سرقة عن سبق الإصرار والترصد

لكني اكتشفتها بغتة؛ وأنا على مسرح الخريف متلبسة

أوراق تتساقط لتستقر على قارعة الروح

أهش بعصا النسيان عليها علني أستريح من إثم الظنون

أقلب روزنامة (الأحداث والأشخاص والكلمات)

أراود هذه الأقانيم لفصول الروح عن نفسها

فتسبقني إلى مشارف البوح

أقدّ قميص الكلمات من دبر

أطلب منها الوقوف

كفاكٍ نهبا لمجاهل التفكير واحتمالات التدبير

كفاكٍ فقد أعياني سوء التقدير

لم تجد سيدا لدى الباب

ولا شاهدا على هذا العراق
فقط أنا ونفسي وبعض الكلمات
التي أثقلت شجرة الحياة
فقطعت عنها النسغ وحجبت ضوء الشمس
لتخفف عن كاهلي الحمل وراقبتها وهي تتساقط بسرور
لوهلة صدقت أني من أثرها تخلصت
وأنها في باطن تربة ستغور وتتحلل ولن يبقى لها مفعول
لكني وفي لحظة تداركت القصة
قد نسيت من الطبيعة أن أسرق التربة
وعلى أرض صلبة سقطت كل ورقة
هناك على قارعة الروح لا شيء يتحلل
لا شيء ينتهي ويغور لا شيء يتصاعد كالبخور
أحاول دوسها لأستعجل الربيع
وتبرعم أزهار فصل سعيد
ولكن....
مع كل نسمة تتحرك تلك الأوراق من جديد

لتذكرني بمن سقطوا وأسقطوني معهم من علو شريد
وأعتكف في محراب الزمن عله يهديني إلى تجديد
أسرق فيه تربة من فطرة الطبيعة
أدفن فيها كل كلمة رديئة
فقد تكدست صفرا الأوراق في ذلك الرواق
وبت أخشى كل نسيم يعبث بسكونها ويعيد وقعها الأليم.

لحظة

في عداد حياتك لحظة تغير اهتماماتك

تعكس خطواتك..

بمكالمة هاتف

بنتيجة تحليل

بخطوة خاطئة في الشارع

بمقابلة شخص

بمرض

بكلمة

أو

..بموقف..

لحظة واحدة كفيلة بجعلك تدور حول نفسك

تراجع بيانات مخططاتك وتيار أفكارك

ذلك أن الحياة أنزلت تحديثا يخبرك؛

أنه مامن ضامن غير إيمانك

لاقوة.. لاعلم.. لافهم.. لا أموال.. لا صاحب..
لاشيء سينفع أمام لحظة من هذه اللحظات
التي تنعدم فيها الخيارات
تنظر باحتقار لكل ما كان يشغلك
وتود السباحة عكس تيار عمرك
ثم إن كتب لك أن تتجاوزها
اغرسها في دفتر مذكرات قلبك
وكلما حزبك أمر ضع يدك على صدرك
واستشعر زهدك في تلك اللحظة
عندها ستستقيم النظرة
ويستقيل التفكير أمام التوكل على رب كريم
سيصلح بحكمته حياتك ويطفى بلطفه قلقك.

نشبهنى..ربما أنا

هذه الغريبة التي تسكنني عنوة؛..
يوميّاً أتفقد ملامحي عشرات المرّات
لألمس تحت الأدمة ملامح غيري مكاني
فأسرع بمواساتها على مصابها العظيم.
بركانٌ هائجٌ من الفوضى يعتريني،
يمزّق ما بقى مني سؤال؛
من هذه؟!
متى تلبست فيني؟
متى سكنتني تلك الغريبة؟!
هل أنا أنا أم تلك الغريبة؟!
سأعد القهوة لتبادل أطراف الحديث
لنعقد صلحة علنا نخرج من ذلك الانفصام
ونعلن لوجهينا الالتحام.

عداد العمر..

قف لنتحدث يا عداد العمر
ماذا تحسب من أوقات؟
وعلى أي وحدات القياس تقفات
الأرقام؟ أم ما أهدر القلب من نبضات؟
هيا لنبحث في الذكريات
هناك يومٌ مرّ كشهر ويوم كلمح البصر يمر
وآخر تحسبه مكث الدهر
إذن لنرّ النبضات؛
أراها تتبع ما سبقها في الحسابات
نبضة الحزن تغلق الصدر
ونبضة الفرح بثواني تمر

تبسم العمر وقال: لا تبحث، لن تجد في بحثك الحل

العمر وعاءٌ لا أكثر

فاملأه بما يذكر
عدّاد الآخرة هو المؤثر
ليست العبرة بما فات من أوقات
بل بما ملأتها من أعمال صالحات
من صبر على الملمات
من جهد في الطاعات
هكذا تتم الحسابات
أطرقْتُ وعلى ما ملأت به وعائي بدأت الحسرات
الويل لي إن كان باقي عمري كما فات.

في أيهم فُقدت

أنت لا تدري في أي معارك الحياة نفسك فقدت

وفي أي المواسم إلى برزخ الروح تحولت

أفي معركتك مع الطموح

أم أولئك الذين سببوا الجروح

أم جُزّت سنابلك بمنجل من فيه وثقت

تتمرد وتأبى الاندثار قبل أن تأخذ بالثأر

روحك في برزخها تطلب منك لها الانتصار

فهل حددت؟

والمجرم الآثم الذي وأدها هلاً ذكرت؟

ليتني يا خيالات الروح أشفي غليلك أريحك من النوح

لكنه صعب على النفس البوح

أظني أنا

أنا من لها خذلت.

فصول

في مرحلة من العمر
يقف جسدك عن النمو
وتستمر روحك
هي لا تعرف التوقف
لا تخضع لقوانين الغدد والهرمونات والجينات
تتمدد في ضلوعك بغير حدود
لتجد نفسك أحيانا في مرحلة الشباب والشيب يكسوها،
والخريف يدغدغ أوراقها
ليتساقط جزء منها مع أولئك الذين كنت تراهم ظهرك وسندك
أو تنسحب من علاقات لطالما شعرت أنك لا شيء بدونها.
وتكبر روحك حتى حين تحن لأمل تتوكأ عليه
ينقسم ظهرها
وهذه الطموحات التي كنت تركض في أرض الحياة لأجلها
تراها باهتة مشوشة

بل بغير ملامح

ستكبر

حتى ترى ما كان يفرحك

يمر بجوارك دون أن يلقي التحية

وما كان يحزنك

توزعه ابتسامتك وتمضي..

الروح لا يقيدتها إلا الله

فلا جسد يسجنها

ولا يد تضع حدودها

فاجعل اللهم عمر أرواحنا فيك

ولك

وارزقنا في خريف الروح عودة لربيع ذكرك.

على قيد الموت

هو الموت إذن من يطوف بك على قيد الحياة؛

إن خانك عقل أو تفلّت منك الأدب

إن زلّت بك قدم

وزلزلك الوهن

إن مددت يدك إلى أخ في تلك المحن

فغرزت أصابعك في وحلٍ أرداك به وهم

هو الموت إذن

وإن جرت دماء في العروق

وإن تصاعد نفس ونزل

فبعض الدم يحمل خثرةً

وبعض الشهيق يغدو زفيرا

وبعض الرفاق على أعصابك أعلن النفيرا

هو الموت إذن

إن خسف قمر الظلام

ووأد العقل العلم
وذهب الأدب في نوبة حلم
وانطفأ سراج في ذلك الغم
هو الموت إذن
وأنت تسير في جنازتك ولا تعلم
ها هم يشيعونك وبكلام غير مفهوم يتمتمون
لا تدري إن كانوا عليك يدعون أم يترحمون
لكن قبل أن يواريك التراب
صرخت عينك بكل عذاب
أن؛ لماذا ؟
ولاً جواب
تنتظر قرع أقدامهم لتنفض غبار دفنهم
وتمضي الحياة على قيد موت
وهذه المرة بلا عتاب ولا عذاب
فقد نسيتهم كلهم هناك تحت التراب.



زهرة بريبة

احتضنت سعادُ باكورة أشعة الشمس بفرحةٍ مبهمة المعالم؛ بعد أن قضت شطراً من الليل تستعجل دقائقه تارةً، وتغطّ مع أحلامٍ جميلة تارةً أخرى، وبعض الكوابيس تتخلل الاثنتين.

رفعت رأسها إلى السماء وتركت خصلات شعرها الكستنائيّ لمداعبة نسّمات الخريف محاولةً استحضار خيال طفلٍ لمس وجنتها يوماً بحنانٍ، ترك دفناً في قلبها ولسعةً صفة أمها على وجهها.

كانت قد قضت شطراً من حياتها وهي تحاول تمييز الدفء عن الحرقه مع كلّ قصة حبّ ترويها صديقتها، أو نظرة إعجاب من أترابها ، فتعود أدراجها إلى ثلاجة المشاعر كي تضمن الصلاح الذي أرادته أمها.

هي تحبها كثيراً وتتمنى لو كانت احتضنتها منذ ذلك اليوم ففي الحشا صقيع وفي منزلها زمهرير يذكرها بمقولة كانت قد قرأتها لفاستون باشلار (في القصور تنعدم الألفة)

إنه بيت يخلق انطبعا خريفيا؛ فناؤه صامت دوماً وتلك الطفلة الوحيدة نشأت فيه بين أفاريز وأعمدةٍ وتماثيلٍ رخاميّة.

تحسدها رفيقتها الوحيدتان على أرض مرمر يرون فيها بريق الشمس على الثلج بينما لاتشعر هي سوى بصقيع الثلج

في بيت ضمّها مع أبّ ذائع الصيت بمركزه المرموق في الدولة، ربما أكسبه بعض الصلابة التي تجذّرت هناك في عمله وتبرّعت ثلجاً على أرض بيته، وأم يكسوها الوقار دوماً مع مسحة حرمان يفضحها جوع العينين لنظرة حنان.

فتحت سعاد عينيها بعد جولة التفكير تلك لتلحظ أسراباً تحجب السماء بأجنحتها تغادر إلى مناطق أخرى أكثر دفئاً تلامس السحاب ، فتفاءلت ورسمت شفاتها المكتنزان ابتسامة رضا تغازل فيها أملاً بأن تهاجر كأسراب اللقلق لأماكن ، فلربما كان زهير الموطن الدافئ الذي سيحتضنها بعد طول صقيع.

زهير شاب في الثلاثين من عمره ، تنضح الفتوة في جسده الممتلئ باعتدال وتبدو الطيبة في عينيه الواسعتين اللتين احتل السواد معظم محجريهما، ممّا جعل لنظرته سحراً خاصاً عميقاً أسرها فقد تخيلته بشكل أو بآخر بطلا من أبطال الروايات التي تقرؤها ولا بدّ إذن أنه سيكون مثلهم ؛ لهذا فرحت فرحة عارمة بموافقة أهلها عليه كونه ابن صديق والدها وعلى خلقٍ، ثم إنها قد توقعته رضوان جنتها الأرضية

رغم أنها لم تر منه أية إرهابات لهذه الجنة القادمة.

عندما همست لأمها مغالبةً خجلها؛

-أمي إنه لم يسمعي كلمة غزل، ولا لمحت في عينيه بريقا كذلك الذي أراه من الخاطبين على شاشة التلفاز.

نهرتها أمها قائلة:

-هذا كلام لا يليق بك!، ثم إنّه شاب محترم لن يظهر لك ذلك.

هيا عليك اليوم ألا تفكري إلا بزينتك، وجمال طلتك أمام الحاضرين.

أتى المساء بأنوار وزينة وموسيقا صاخبة، وبدأت سعاد كالوردة البيضاء تتهاذى مع نسيمات التصفيق، وعبارات المدح تشوبها بعض المجاملة.

هاهي الآن وجهاً لوجه أمام زهير، تتابع بشغف نظراته وحركاته؛ تتحرى فيهما ما سمعت من مغامرات صديقتها سوسن، وغراميات نور تارةً، وتتذكر ذلك الكم الهائل من الرومانسيات المخزنة في ذكرياتها من الروايات تارةً أخرى.

لكنها لم تجد لاهذه ولاتلك.

تقدم نحوها بهدوء وقبّل جبينها، ثم طلب منها أن تتوضأ لأداء ركعتين اتباعاً للسنة وطلباً للبركة.

_ماهذا!، هذا المقطع ليس من السيناريو الذي روته الصديقتان، ولا من إحدى مشاهداتها للأفلام، ولا سمعته من أمها.

أمها... آه أمها.. الآن تذكرت كيف أنها لم تناقش أبداً أية مسألة معها ، ولا حتى أمورها الشخصية التي كانت تشاور فيها صديقاتها.

لطالما قالت لها؛

"أنت زهرتي البيضاء"، فحرصت أن تكون أمامها كذلك دوماً.

قطع عليها شرودها صوت زهير يناديها، فهبت مسرعة وهي تتمتم:
نعم وأمامه يجب أن أكون تلك الزهرة البيضاء.

تعثرت وهي تحضر- له قالب الكاتو، ولجمها الفرع عن النطق عندما تطايرت الكريمة على وجهه، تسمرت في مكانها جاثية متوقفة التأنيب، لكن ضحكة مدوية صدرت منه جعلتها ترفع رأسها ليعاجلها بقبضة من الكريمة مسح بها خدها، ضحكت بفرحة طفلة نجت للتو من تلك الصفعة فلأول مرة لا تلقى تأنيباً على فعل خاطئ.

مرّت الأيام.. ومن ثم شهور، مرت بنفس المشاهد المكررة تمثلها طوال النهار، ثم تعيد تقييم الشريط في الليل، وتقارنه مع أشرطة صديقاتها وأفلامها، وهي تقول؛

- زهير شاب طيب ليس بالسيء أبداً، ولكنه لا يشبه من حلمت به، وحياتي مريحة، لكنها لا تشبه ما يُعرض هناك على مسرح آخر من مسارح الخيال.

ولم تمتلك الجرأة بعد لتخبره كيف تحب أن تكون حياتها فقد اعتادت أن تزين كلمتها جيداً كي لا تنزل قيمتها في ميزان المثالية أمام أحد.

حبست واقعها في قالب بارد جعل بينها وبين زوجها حاجزاً رغماً عنها ومن خلف الحاجز كانت تهمس في نفسها ليتها يفعل كذا وليته يقول كذا.

لم يغب ذلك الشroud والبرود عن بال زوجها وظنّ أنّه بسبب انشغاله الدائم في عمله، وبما أنّه لاحظ ولعها بالكتب أهداها بطاقة اشترك في المركز الثقافي تخولها استعارة الكتب وقراءتها هناك إن أرادت .

على طاولة مستديرة بجانب النافذة في نهاية غرفة المطالعة اتخذت مجلسها الذي باتت تتردد إليه كل يوم، وتستغرق في القراءة بينما عينا المشرف المسؤول تراقبها؛

_اختياراتك رائعة سيدتي

فاجأتها الجرأة في اقتحام جلستها فرفعت رأسها واكتفت بإيماءة الموافقة مع الشكر لكنّه سحب كرسيها وجلس قبالتها؛

_تقريباً عرفت ذوقك في القراءة، فما رأيك أن أختار لك ماتقريين مع نبذة خفيفة عن الكتاب

_جميل جداً سأكون شاكرة لك

أصبح لرحلة المكتبة رونق خاص.

لم يعد الكتاب مؤنساً لها فحسب، بل أحست أنّه أهداها من بعض صفحاته بطلاً أدمنت العيش معه بين الكتب فكانت على نظرتة تنسج رواية أخرى تعيشها لأول مرة خارج أسوار الحماية التي كانت

مضروبة حولها، مما جعلها عاجزة عن حماية نفسها من الوقوع في تلك الهوة التي اتسعت، فماعدات مقارنة زوجها مع شخوص الخيال بل بات له منافس من الواقع ، شخص كانت تظن أن أمثاله لا يغادرون دفتي رواية برومانسيته الحالمة وثقافته الواسعة.

كل هذه الأفكار تراودها وهو من همك بإحضار كتاب لها، تقدم نحوها وسألها بمكر؛

_ هل قرأتِ (وسادة الريش) لأوراسبو كيروغا ؟

_ نعم منذ زمن وتأثرت بها كثيرا

_ احذري إذن من حشرة تندس في وسادتك

_ هه هه أنت تعيش في أجواء الرواية مثلي، اطمئن أفتشها جيدا

_ ليس كل ما يمتص عافيتنا حشرات فبعضها أفكار تقتحم الوسادة كل ليلة رغم أنها من الريش

شردت سعاد مع حديثه، وترقرقت دمعة من عينيها كان ينتظرها فعلا؛ ليقترب ويمسحها بمنديله ويتبعها بلمسة دافئة على خدها أعادت لها دفء لمسة طفولية، ازدردت لعابها وتعرق جبينها وارتعشت شفتاها حائرة من ردة فعلها، لاعقةً خيبتها وهي تحادث الصمت بأمنيات تمنى لو استطاعت أن تبقى فيها بعقلية طفلة تتحفز عند المنعطفات لاعتقادها أن أحدهم سيفاجئها، فتنفجر

ضحكة أو تصرخ متظاهرة بالمباغته، لكن باتت المنعطفات مخيفة في درب عمرها بعدما تعلقت بين الأرض والسماء متعبة من التسلق عكس الجاذبية باحثة عن لذة شقية، لكنها تنحدر فجأة على منحدر الخيبة لتقع في مستنقع الندم.

ولم يتسنّ لها هذه المرة المكوث في الخيال، فقد انقضت على مجلسهما سيدة في العقد الثالث من العمر شاحبة الوجه شاردة النظرات رمت الكتب بحركة هستيرية وهي تصرخ؛

_تحملت خياناتك كلها واعتدت على طابور النساء في حياتك

لكن أن تخون أبوتك فهذا لا يطاق، ابنك المريض وصلت حرارته للأربعين وأنت تُسوّف في أخذه للطبيب ولم تترك لي مالا لأفعل ذلك.

سقط قرط من أذنها و قطرات دم مع كلماتها الأخيرة فقد عاجلها بصفعة أطارت صوابها وأعدت سعاد إلى صوابها.

ركضت بأسرع ما ركضت في عمرها كله وكأنها تنفض عن وجهها دماء اللمسة ونار الصفعة التي استذكرت فيها يد أمها.

تعثرت في حديقة منزلها وسقطت أرضا في بركة موحلة وبقربها كان قد تساقط بعض الياسمين وأوراقه مقلوبة إلى أسفل، أخذت تجمعهم بيدها وتتساءل؛

- لماذا لا يعود برعما كما كان !؟

ثم استسلمت لإغماءة أفقدتها وعيها.

هبت نسيمات باردة من نافذة غرفتها لتستعيد وعيها على سريرها
ومخدة الريش التي حضنتها بحب ودفء هذه المرة، فقد كان هنا
زهير بجانبها وبابتسامة عريضة على وجهه قال؛

-لقد اضطررت اليوم أن أعاملك كطفلة وأبدل ملابسك الموحلة كي
لا تفسدي بياض سيرك، لكنك قابضة على زهرات الياسمين وما
أردت الإفراج عنها

ضحكا معا وضحكت الطبيبة التي كانت بصحبته بصوت عالٍ قائلةً
لا بأس فهو تدريب لك على دور الأبوة؛ أنتما الآن مشروع أب وأم
مبارك لكما

فجأة أضيئت الغرفة بنور أمل قطع سلسلة تخيلاتنا ويد زوجها
الحانية تربت على كتفها.

أطرقت قليلاً وهي تحمل وردتها البيضاء التي قاربت على الذبول؛

- ترى هل آن أوان الصباح ليمطرها بالندى !؟

هل آن لها أن تبوح بكل ما فيها وتطلب السقيا!؟؟؟؟؟

أجابتها نظرات دافئة من زوجها احتضنتها بمودة إنه بطلها لكن هذه
المرّة من الواقع.

رمادي

مذ كنتُ صغيرة وأنا أشعر بارتباط كبير مع اللون الرمادي؛

أنتقيه لإرادياً في كل رحلة تسوق.

وبعد العودة أُفاجأ بأنني لم آتي بجديد؛

فخزانتني ملأى بهذا اللون

إن لم نقل أغطية السرير أو الأريكة.

شيءٌ ما يدفعني إليه دفعاً

رغم أنه لم يكن يتناسب مع شخصيتي في تلك المرحلة؛

فلا قرارتي رمادية

ولا حياتي تخلو من ألوان البهجة

الآن فقط أشعر بأن هذا اللون

قد ضرب جذوراً في أعماقي فأورقتُ ظلالاً رمادية أينما ذهبت

أرى الأرض رمادية

والشمس والقمر وكل البشر.

حتى أنا داخلي أنا،

لم يعد فيه تحديد؛
أصبحتُ لا أثبتُ على قرار
وكل معتقداتي قابلة للتعديل أو الإقرار
أصبحت الحواس بلون الحديد
لا شيء مهم لا شيء جديد
سيّان عندي الغروب والفجر الوليد
سيّان عندي البشر القريب منهم والبعيد.

حكاية قلم

أيها المسافر في غياهب الروح
أما أعيئك تلك المتاهات!؟
أما أرهقك الصعود والنزول
في أروقة الحكايات!؟

تارةً تصعد لأبراج الحنين
وأخرى تستجيب لأنيني الحزين
تارةً يظننيك ما أحملك من يأسٍ وعلل
وتارةً تتكىء على كثيب الأمل

هل أدفأتك عباءات الزمن
أم هدت كتفك أحمال المحن
مالي أراك اليوم من معيني لا تستعين
عن أصل حزني حامل مستكين

أما كنت ترشف من قطرات الروح
وتهدي لأزهار أفرحنا القبل؟
أما كنت تستقي دم الجروح
لتنسجه بنفسجاً على تربة من عدم؟

بلى ذلك هو أنت أيها القلم
كنت رفيق الروح، لكنك خنت
العهد وعجزت عن مرافقة السقم

هيا.. مزق تأشيرة البين، وأعد
لعلاقتنا مراسم استقبالها المنصرم
مني الندى الذي يحييك بعد ليل ذبول
ومنك حكايا الورد ونور المقل
هيا عد وكن كتفي والحياة يا قلم.

اتصال

أكارثة تلك التي حلت بنا..
وأي نوع من الكوارث؟ لا أدري
زلزال صدع تضاريس حياتنا
شطرها بقوة إلى قسمين متباينين!!
بركانٌ اشتعل في ذلك القسم البعيد
وحوله إلى هشيم وأنين
رياحٌ عاتية
اقتلعت أشجار الحياة من بساتيننا؟
أم طوفان أغرق كل المحاصيل
ورمانا على أرض قاحلة بالحنين
أطالع من بعيد جبل الجودي وأنبهر
بما فيه من اخضرار الحياة وآمال السنين
أراها بعيدة جدا" تلك الحياة قريبة جدا" تلك الحياة
يقربها اتصال ..

مجرد اتصال مع خالق الحياة
ينبتها فينا من جديد ويدفن الأئين
اللهم أوصلنا إليك ولا تجعلنا من المنقطعين.

أبواب

تائهة في هذه الحياة
متعبة ومشواري طويل
وخائفة من ذلك السحاب
ربما يمطر وويوحل الطريق
أو ربما يبلى الأثواب
أريد أن ألجأ لركن
أحتمي به أتدفأ
لابد أني سأجده خلف هذا الباب
لكن مالي أرى دروباً كثيرة
لا تميزها طبيعة ولا كتبت لافتة
وكثيرة جداً " تلك الأبواب
بعضها حقيقي يحمي
يدفئ ويمنع الأعداء
وبعضها مجرد سراب

_ياابنتي اختاريه حقيقيا"
على الأرض ثابتا"
لا ذلك المتأرجح بالهواء
يغريك بأحلام طيران
و بعد ولوجه يمطر ك السحاب
بعقلك وإرادتك فكري
ثم اختاري الأنسب
اختاري الحقيقي من تلك الأبواب.

بريف

تتوالى فينا خطيئة التفاح
بعد أن تزينت وعُرضت في سوق المباح
يجذبنا اللون والمنظر
والملمس أبهى وأجمل
فيسيل اللعاب على طعم كالسكر
يستدرجنا لأعماق كالحنظل
ومحظوظ من قلاها قبل أن بالعفن تتحلل
فاحذر يا أخي هذا الكم من المُتاح
احذره قبل أن مبادئك يجتاح
وتذكر ليس دوماً الظاهر كالجوهر
فَرُبَّ عفنٍ بقشرة صالح تسوّر.

أنا الشرقي

أنا الشرقي الذي نعتموني بالسواد

أظهرتم عشرتي وكأنها

من سود المداد

قلتم؛

أفتقد الرومانسية

مع زوجتي بالذات

أقيد حريتها وأركانها

في البيت كالعتاد

قد أخطأتم كثيرا؛

انظروا وجهي

حفر فيه التعب أوتاد

قامتي انحنت

من شدة الهم و السهاد

أنا إن نمتم؛ سهرتُ

أفكر بمستقبل الأولاد
إن تغنيتم بالعشق؛
ففي قلبي كل الوداد
إن أويتم إلى البيت؛
فأحملكم معي في كل واد
قلبي معكم
فكري لكم
لا يشغلني غير
مستقبلكم من بين العباد
ومهما أثقل الزمان كتفي؛
سأسحب أسرتي، بيتي إلى الأمجاد
عمري كله رهنته لسعادة زوجتي لمستقبل الأولاد.

بلورة منكسرة

في لحظة ما من شريط الحياة تتوقف الصورة

تغزو المساحة الرمادية أطرافها

تحدها خطوط عرضية كزجاج متكسر،

تحاصرك رويدا رويداً

لترى نفسك وحيداً في الشاشة

تلتفت مذعوراً

_ أين من كانوا معي؟!

كنا نتشابك بأيدينا ونبتسم للمصور

منذ قليل أعطانا نصيحة بالابتسامة لتبدو الصورة أحسن

ضحكنا كثيراً واستذكرنا كل شيء جميل كي نبدو أجمل

أين اختفوا؟

هل غابوا في إغماءة ضحك مرّت

أم كانوا وهمماً ومنه أفقت لأول مرة

حسناً لأحاول إصلاح المشهد

هاهو يعود بي إلى زمن الضحك
وتلال وروابي وطفولة تلعب
تَباً إنه الماضي غزا المشهد
أصلحتُ الصورة لتتقدم للحاضر فعادت مكسورة
فأسقط في يدي وجلست مقهورة
لكن رمقاً من أمل مد يده وربت على كتف القهر، ابتسم وقال
_هيا عد لآخر لحظة كنت فيها ثابتاً أمام العالم وأكمل المشهد.

كلهم معلم

كل حدث يمر بك

كل شعور بأس

أو بالفرح عمر

قلبك

كل شخص قابلته

كل خطوة خطوتها

سكونك وتدبر كونك

ضوضاؤك وصخبك

أفكارك وحلمك

واقعك وخيالك

كلها أطياف

تمر قربك أو تمر بك

لتشكل وعيك

لتكمل لبنة

نقصت في بنائك
كلها معلم
وللمعلم ممتنٌ حرفك
فلولاه ما خطت
سطور عمرك
لولاه ما اختبرت
قوة بنائك
وسلامة أساسك
لعل في المحزن
منها هزة
تدعم إثرها القواعد
لتصارع الشدائد
وفي المفرج منها
زركشة لأسوار صرحك
مدين أنت بالشكر
لكل طوارئ يومك.

أحجية غريبة

مدى بحار وأمد شمس تأبى الزوال
أمواج تلد ملح الحياة في لجة سؤال
وأنا وأنت

تناغم صوت في حديث صمت
لا أرض تجمعنا لا سماء لا ماء
وجميعها تحمل من عينينا شذرات ضياء
تقاسم كاهلينا أشلاء سحاب
على أوتار صمتنا عزف السنونو ترنيمة غياب
والتقينا وارتقينا لقاء صدقة بأكف المحسنين
عطاء عقل مادري يساره ماأنفقت اليمين
على حين غفلة من هامة القلب
ارتقينا درجات فكر وخيال
بوشاح من حبال
أنا وأنت

على قيد البعد على قيد القرب
بيننا مسافة حبل بين جذب وشد
احتضان في ظل الفراق
ووداع في ذمة الأوراق
وثوانٍ لملمنا خصلاتها في حبل وثاق
علها تعرقل سكرات بُعدٍ راق.

مصير

ماذا لو خانتني يوماً الفراسة
وبكلامهم نبت لي جناحا فراشة
ربما سأطير

وأجوب الكون الكبير
أخطف الأنظار بالألوان
وخفة الحركة بين الأغصان
ربما أستحوذ على الكثير
لكن..

سيبهرني يوماً الضوء المنير
لأقترب فيلسعني شراره المستطير
وأقول في نزعي الأخير
ليتني علمت أن عمري قصير
ليت لم ينبت لي جناحان
لربما على الأرض أحسنت المسير ولربما تغير المصير.

ارث

ذبلت ضحكتها تجمد دربها قبل الوصول بدمعتين وخطوة

أسبلت على نار الوجنة يدا تُسكّن لظى الصفحة

وبأخرى بحثت عن منديل لتحجز الدمعة

ومن خلف ضباب الدموع ترى صورته المتكسرة

بقيت في مكانها لزمن لا يحسب بزمن

حيث لا مقياس لخيبة الأمل

ووقف متجبرا بضحكة انتصار

ففنون التربية لا تجاوز عنده هذا المضمار

وقفت ومضى الزمن

وهي على حالها تنتظر العدم

تحلم باعتذار وربما

كبرت ولم تكمل ال (ربما)

كبرت هي ولم تكبر تلك السجيّة

و بعد أعوام مرت بالأحمال سخية

صلب العود والفكر اختمر
وكانت كبيرة قوية فيما يظهر
إلى أن تلقت صفعات أُخر
عادت إلى مربع الصغر
لا نار على الخد
كي ترفع إليها اليد
ولا دمعة المحاجر تجود
فقط بقي من إرثها القيود
كبلت الخطوة لا هي تتقدم ولا تعود
وعادت إلى استجداء (ربما)
وبقيت هناك تنتظر بلا راحة فكر
تريد أن تمضي ولكنها تتمنى لو يعتذر
حتى تغادر بلا أدنى أثر
أيعقل أن تكبر ولا تكبر
ويبقى موقفها من الصفحة
كما بدائية مواقف الصغر

ربما
وربما نحن لانكبر
وإذا كبرنا
لابد أن يبقى شيء من إرث الصغر.

أمي

ويين ثنايا جدائل شعري
جميلك يا أمي نبت جمالاً
تمر السنون بأطياف عمري
ودفاء الأنامل سحره يتعالى
على ذاك الحلم أغمض طرفي
وتغريد سنان المشط يتتالي
يكدر الصحو الكئيب نومي
فيفر الطيف الجميل حالاً

رويدك ياطيفها الجميل
لطفك بحالي العليل
روحي في زمهير
ودثارها سرقتة حالاً.

مفتاح أوهام

منذ سنين....

في مكانك تنتظرين

لا إلى القادم تنظرين

ولاخطوتك من محبسها تحررين

رويدك

بنفسك ماذا تفعلين!؟

ورود وجنتيكِ ذوت

نور عينيكِ خبت

ساق عودك انحنت

وأنت في محبس الماضي ترقدين

بالله عليكِ بماذا تفكرين

لماذا بمستقبلك لا تحلمين

أوتظنين أن الرياح تعيد من ذهب؟

أو أنه على أطلال حبك أوقف عمره يرتقب؟

أزيحي ستائر سجنك واقبضي على قلبك وأنت إليه تنظرين

إنه هناك

يمسح دمع من تنتحب

ويريح أخرى من التعب

ويهدي تلك التي ضلت الدرب

تماماً كأول قصتك، أوتذكرين!؟

نفس القصة

لكنك السابقة وهنّ اللاحقات بعد حين

فاستيقظي من رقادك الحزين

وافتحي باب سجنك المهين

مفتاحه بيدك لكنك ماكنتِ إلا تتوهمين.

أنظنين

أتظنين أنني لا أفهمك
وعنك مشغول بالآخرين؟!
أراك تطرقين حيناً
وحيناً إلى السماء تنظرين..
وفي خاطرك سؤال
أهداه لك وهم الخيال
أسمع في صمتك ذاك المقال
كيف حصل العشاق على ذلك النجم المبين؟!
حبيبة قلبي لا تتحسري
وأمام تفاهاتهم نفسك لا تستصغري
لعلك تريدين نجمة لكنني!..
بأقل من القمر لن أملأ تلك اليمين
تريثي قليلاً"
كي أزيل ستائر الحياة

بعدها سترين الحب المبين
لا يشغلني عنك إلا
السعي لقمر يضيء حياتنا به نستعين
زوجتي ياوصية الرحمن
قولي لهم أنت في قلبي (مودة)تسكنين.



كتب أنت

_ ما أجمل السعادة وما أقصر - ظلها، لا نكاد ننتعش ببرده على الأرواح حتى يزول.

تساقطت هذه الكلمات من فمه ممتزجةً بدمعات استقرت على ألبوم صور كان يتصفحه، وهو يحاول تلمُّس وجه زوجته المشرق في الصورة كالقمر، بينما خياله يسحبه إلى تلك القاعة الفخمة؛ حيث كل أصدقائه وأقاربه كانوا إلى ممر دخولهم مشرئبين بنظرات زغردت فيها الفرحة والدهشة، هاهو بقامته الممشوقة بيزته السوداء الأنيقة وربطة عنقٍ خمريّةٍ اختارتها زوجته لتناسب بشرته البيضاء التي زادت توهجاً تحت الأضواء مشكلةً مع سواد عينيه الواسعتين وحاجبيه المقوسين وجهاً يوسفي الجمال تحسدها عليه كل النساء، لكنه مارأى يوماً غير وجهها وما حلم يوماً بغيرها.

وهاقد تحقق الحلم لا بل راوده شعور أنهما تلاقيا معاً الواقع والخيال وهو يرفع الطرحة عن وجهه بيضاوي تحده خصلات شقراء أسدلت على جبينها الواسع، وعينين زرقاوين يزيد الكحل سحرهما مع أنف مدبب يوحى بملامح كونتيسة ألمانية

_ مبارك لنا بنا مبارك لنا حلمنا

_ لا أملك جواباً على مقاس فرحتي

_ فقط ابترسمي ستليق بكل ألوان الفرأ تلك الابرأسامة، أنت فرأتي

أشرفت ابرأسامة بين شفأته مبللةً بالدموع عندما تذكر ذلك الكلام، ثم مسحها وحاول التماسك وهو يترأ نحو الباب ليفأحه للطارق.

كانت أأته رفقةً ابنة خالته قد أضرأنا للاطمئنان عليه بعد أن اعأكف في بيأه منذ يوم فرأه.

على غير عأأته بادر أأته "سلام" برغبأه في الطعام فاسأبشرت وسارعت إلى المأبأ مسرورة لأنه سيقأع إأرابه، ربما قرر العوأة للأياة ونسي ماكان.

أما "سعاد" فبدأت بأربأب الغرفة وبيئما أهم برفع ألبوم الصور نهرأها بشأة؛

_ أأيه

نأرت إليه بأسى وكأنها أبلغه ألف رسالة اعأأار؛

_ أعلم أنك لا أريد مأأأأني لأني مأأهبأ إليها لأسالها عن السبب، صأأني أاولأ وماسأأوا لي بمأابلأها، قالوا لي أنها في أالة هيجان وأوترأما أنها أعاني من أأيق في الأنفس كلما أأأرت شيئاً عنك.

رغم أنني صديقتها المفضلة، لكنهم لم ينسوا أنني ابنة خالتك
الوحيدة التي ربّتك كأملك

_أنا لم أطلب منك طلباً مستحيلاً ياسعاد، فقط: لماذا؟

لماذا فعلت هذا؟ لا أريد غير إجابة لهذا السؤال.

سألتك عنه مراراً ومأجبت، رغم أنها عندما هربت لجأت إليك،
وأوصلتها بسيارتك إلى أهلها، لماذا لم تخبريني حينها؟

_صدقني كانت في حالة هلع، عيناها حمراوان والعرق يتفصّد من
جبينها وكأن قبيلة أشباح تلاحقها، فما استطعت أن أفهم منها شيئاً
سوى رغبتها بالذهاب إلى أهلها، ومن هناك اتصلنا بك لنفهم فلم
تتكلم.

رفع رأسه بحركة عصبية وانتفض واقفاً نحوها وهو يردد

_لا شيء لاااا شيء حدث، بم أخبركم وأنا في حالة ذهول!؟ قلت لكم
وما أخفيت عليكم شيئاً، دخلت المطبخ لأعد العشاء فاخفت من
المنزل.

تراجعت سعاد خطوة خوفاً من انفعاله وطلبت منه الهدوء تحت
وعد منها بزيارة أخرى لصديقتها لتفهم ما حدث، ثم غادرت مع أختها
بسرعة ليتسنى لها تقصي الأسباب.

كانت "سعاد" فتاة حسنة تسدل خصلات شعرها الكثيف على
ظهرها حتى وصل إلى آخره وبعض الخصلات الأخرى فوق جبهتها

حتى بدت رائعة مع كثير من الحلي اللامعة والملابس الصيفية التي كانت تنم عن رشاقة ملفتة

هي ليست مجرد ابنة خالة، بل شاركتها وأخته عطف وحنان أمها التي اعتنت بهما بعد وفاة والديهما بحادث سيارة مروع توفيا على أثره تاركين ثروة كبيرة للابنين، اللذين مانسيا تعب خالتهما فوهبهاها شراكة في بعض الأموال.

كان قد تعرف على زوجته "حنان" في بيت خالته إذ كانت صديقة "سعاد" المفضلة، ولطالما لجأ إليه في مسائل معقدة من محاضرات الكيمياء، كونه معيداً في نفس القسم، وكون حالة أهلها المتردية مادياً لا تخولها طلب دروس خصوصية فهي بالكاد تصور المحاضرات أو تنقلها من سعاد حتى توفر على أهلها ثمن شرائها؛ مما زاد إعجابه واهتمامه بها، ورويداً انقلبت العلاقة إلى حب عفيف لم يرض أن يبقى سراً فعاجل بخطبتها.

رحب أهلها بطلبه بل طاروا فرحاً فقد كان بالنسبة لهم كأمثل حلمٍ يتمنونه لابنتهم، وعاشوا في الخطبة أياماً سعيدة وكأنهم في قطعة من الجنة.

رتبوا ليوم العرس البهيج على أنغام الأمل ورقصت لهم ببهجة الأيام.

_ لكن لاتثبت الدنيا على حال ومهادتها دوماً أمر محال

هكذا كان يعزي نفسه وهو يحاول بلع غصة الواقع بماء الصبر، نابشاً في ماضيها على ما يعكر فلا يجد، مما يزيد في سوء حاله واندهاله.

قطع ذهوله قرع الجرس، فسارع متوقفاً عودة "سعاد" بالخبر اليقين دخلت "سعاد" وعلى وجهها مسحة قلق وهم

_ هيا أخبريني بسرعة مهما كان الخبر سيئاً، لماذا فعلت ذلك؟ ولماذا لاترد على اتصالاتي؟

_ خذ تحدث مع خالتك ريثما أحضر. أغراضاً لحنان من غرفة نومكما طلبت مني إحضارها

كانت توضع في الغرفة الأغراض وهي تسمعه يصرخ على الهاتف
_ مستحيل، مستحيل

كلكم كاذبون، حنان لم تخني ولم تحب غيري وهي أطهر من ماء السماء

ثم بدأ بتكسير كل ما في البيت.

خافت "سعاد" وتركت الأغراض، حملت كيساً صغيراً بكفها وركضت باتجاه الباب فتعثرت عندما أصبحت بمحاذاته ووقعت أرضاً، وانفلت من قبضتها الكيس وانفرط ما كان فيه.

هبت كالمجنونة راكضةً إلى الخارج

_ لستُ أنا، لست أنا وما أردت ذلك

إنها أعي

وعدتني ألا يتأذى أحد منكما، وأن تبقى ملكي أنا.

انحنى على الأرض بذهول ليجد مكان يملأ الكيس من أشياء غريبة؛
شعر آدمي وقطع صغيرة من القماش، وعظام حيوانية صغيرة.

قبل أن يستفيق من دهشته شق الفضاء صوت فرامل سيارة،
وصرخة مدوية ملأت المكان.

شُرود

لم يكن صائباً ما فعلت

لم يكن منطقياً

لم يكن عادلاً

وأبداً لم يكن مريحاً

لكنه بدا وكأنه طريقٌ اعتراضِيٌّ إجبارِيٌّ

أمرٌ يشبه أن تطرد ابنك من دفاء المنزل إلى جوٍّ ماطر، تراقب وجهه من وراء الزجاج المغسول بزخات المطر؛ إنه هناك قطعة منك، كان مصدر سعادتك يوماً واليوم هو سبب غضبك.

تمنعك قطرات المطر من تحديد ملامحه، لا بل حتى تحديد ملامح شعورك وأنت تودع شيئاً من داخلك،

وملايين الأسئلة المنطقية والتبريرات اللامنطقية تتصارع في مخيلتك.

تطالبك بلم شتات نفسك.

وجبر خللي في لوحة فسيفساء روحك؛ شوهاها نقص جزءٍ

لم يسرقه أحد، لكنك رميته بعيداً بملء إرادتك وربما بملء لا إرادتك.

قل لي لماذا؟

قل لي لماذا

أصبح الجفاء بيننا عادة؟

أصبح زفيرنا هو الشهيق؟

أما كنتُ لك يوماً خير رفيق

كم تسامرنا على ذاك الطريق

ولوابل هموم الحياة

بك كنتُ أستظل يارفيق

ليت تلك الكلمات الميتة تستفيق

ليت ضحكاتنا يعيدها الصدى

من المدى السحيق

ليت لهفة اللقاء تطير

كالفينيق من رماد الحريق

ليتها كلها وكلنا نُبعث

من زمن الوصل الرقيق

لتشهد علينا
وتدحض كذِبينا
صلاة روحينا
إذا فسدت؛
فسد سائر عَمَلينا
مهما ادعينا حسن التطبيق
قل لي لماذا يارفيق؟
لعل المقال يُجلي بعض الضيق
قل لي: هل أنت نادم؟
أم مازلت بوهم انتصاراتك ساهم
وهذا الضمير القابع في جنانك هل مازال نائم؟
أبعد كل هذا الصراخ الساكن والوجع الكامن.. لا يستفيق؟!!!
قل لي لماذا ياشقيق؟!!!

اعترف وتجاوز

ماحياتنا إلا مضمار سباق؛
فيها مراحل يفصل بينها حواجز متفاوتة العلو متباينة الشدة
ساذجٌ أنت إن توهمت
أنك ستعلو على كل الحواجز بنجاح تام،
فربما أوقعت على أحد الحواجز خشبة
أو فاجأتك عند أحدها حرنه؛
فلكل جوادٍ كبوة
لاتدقق وتمكث طويلاً عند أحد اجتيازاتك الخاطئة،
ولا تتجاهلها وتدعي أنك عصيٌّ على الهزيمة.
اعترف بها تشربها بكل مسامك،
واستنشق رائحة احتراق روحك من لدعة الهزيمة
ومن ثم جدّد العزيمة.

أخي

إن ادلهمّ الليل
وأطفأت الرياح القناديل
إن تعثرت الخطوة
وكان رداء مصائبي طويل
إن زاغ البصر
وتشقت للثقة الدروب
وسقط فيها أصحاب
كانوا يوماً لنا نصير
إن عزّ المتكأ في
طريق سفرنا الطويل
إن ضاق الفضاء
وحاربني الدهر العسير
بسيفك أخي أقارع
وأتابع المسير

بدم وريدك أشعل
في الظلام الفتيل
لن أهتم ببرد
ولا زمهرير
فعباءة نصحك
تدفع الأوصال
وصوتك في
وجه العدا هدير.

طريف ورفيف

لا تهتموا بطول المسافات

تابعوا مهما بعدت

ولا تتركوا نقاط علام

لا تسكبوا رمالاً على الطريق

ليقتفوا أثركم

ولا تلتفتوا دوماً لتنظروا

إن كانوا وراءكم

ولا تستصرخوا منهم

للبقاء استجداء

ولا حتى كلمة وداع

تابعوا دوماً

ولا تخشوا المسافات

لأنها مفيدة

في قياس مدى بعد

وقرب الشخصيات
فبعضها محطة راحلة
وبعضها نزوة عابرة
وبعضها عين متطفلة
دخلت حياتك لتستطلع
لا زائرة
وبعضهم بثياب صديق
عزّاه طول الطريق
تابعوا وتابعوا
لن يصمد معكم
لنهاية الطريق
إلا من كان رفيق
بعمق المعنى
لا بوشاح دقيق.

سقطت

عباب بحار الحياة
أنا عبرت.
وأستار الضباب سبرت
ومشيت ومشيت
وحيدا"
غريبا"
متعبا" لكنني مشيت
ولكل الصعوبات
رضيت واستمرأت
لكن
من يدك طعنة الغدر
ما توقعت
يامن لأجله تحملت ما تحملت

...

من الألم شهقت
وخلت نفسي سقطت
لكني برغم دمائي النازفة
وقفت
لا
لن أمتعك بمنظر سقوطي
يا من غدرت
سأموت واقفا"
ليعلمك كبريائي
أنك أنت من سقطت.

ضربة معول

مالي أراك حزين !!؟؟...أأثقلتك الهموم؟

أم قلقك سببه شكك وخوفك من مجهول؟
أم تراها ذنوب تراكمت فرانت على قلبك بصخور؟

لكأني أسمع نداك من المجهول..

تقول لي

(أنا العاصي.. أنا من تحجرت خلجاتي..)

أنا بركان ندم خلف

ذلك السكون)

_دعك من التفكير..

والتحجر في نفس السبيل

الذي عليه همومك تدور..

هيا اكسر أغلال الأحجار بتوبة..
تقهر صلابة الشيطان المغرور
لا تخدعك القساوة
ولا سماكة جدار بالذنب ممهور
ابدأ فقط ..
مع أول ضربة معول من توبة
.سيتفتت ذلك الحجر ..
ستقهر ذلك الصخر المزعوم.ط

مسارات وأغوار

ريح عاصفة باقتدار

غيرت لها المسار

أجذب هناك الوقت

وضمير الجذر بصمت

فمضت تقتلع

الخطوة من الخطوة

لتتابع بغير مسارها

الرحلة.....

بَعْد الطريق وقل

زاد الروح بلا رفيق

اضطرت أن تودع

رفاق العمر

أصابت الروح

هشاشة من القهر

وعندما قررت البدء
من جديد
أشرعت يدها
لكل جديد
أفسحت لهم
بقربها المكان
وتبادلوا المصافحات
والأحضان
وأدفاً بعض الأوس
المسار
لكنها من هشاشتها
لم تسبر الأغوار
وإذا بكل من
رافقها ظلال أخبار
قرأتها يوماً لكن عمداً
منعت الحقيقة من الإظهار

وتجاوزت الصفحات
علها تكون صحافة صفراء
فهي تتمنى ألا تصفهم بالرياء
فاتخذ كلُّ من أصدقائها
صفحته كراء
وعندها طاش البصر
لم يعد بوسعها طمس الخبر
إنها تقرأ جيداً الآن
والأغوار ظهرت للعيان
هذا اتخذها متكأ
وتلك اتخذتها ملجأ
بعضهم أمسك بيدها
ليتمكن من العبور
فعلى المسار الآخر
صديقه المنظور
إذن دورها انتهى

فأخرجوها من
تصفية الختام
ليتها ما أنهت قراءتها
وتركتها لقادم الأيام.

طوق حياة

بين حرف وبوح

ألف طوق

زمان ومكان وشتات فكر

وحنين وحروب وسلام وسهر

كيف تُنصفنا العبارات

ونحن

نصطي نار الشتات!

هواءً موطئ الخطوات

وسرابٌ مورد لظى الأمنيات

مكره قاموس الكلمات

نصفنا تعبٌ نصفنا رفات

بين شوق وشوق

نصف موت

ونصف حياة

رمال ومرفاً وسفن القهر
وجسد واحد يتقطعه الجزر
كيف لشلو مبتور رمق حياة
لقاءات صداقات عقيمة
بريقها تصدئه كلمة
أخطؤوا أم خاننا التفسير
الخيبة أعلنت النفير
لم نعد نفهم المعاناة
لكن بعضنا يتقطع
وبعضنا على بعضنا يرسل الآهات.

غلاة

قد تشفّ غلالة الرضا عن أمر مضي،

قد يبعث ما اندثر

قد تطفر الابتسامة على الأثر

من تقشّر روح التحفت الصمود

بعد حت عواصف الزمن

وقولبتها على نحو صامد

لكن لا يشبه تماما سابق عهدها.

تلك ضريبة من يعطي من نفسه للريح،

وبعض الريح حدث وبعضها خيبة وبعضها بشر.

أن تتعود العطاء على حساب نفسك

لم يعد في زمننا إحسانا بل بات للنفس ظلما وبهتاناً،

إذا قوبل بالاستنكار،

إذا انبريت تقدم لنفسك الأعذار حتى تردم هوة

أحدثها شكوكك بين ما توقن به في عالم المثاليات
وماتدركه لاحقا في عالم الواقع.
عندها توقف حالا؛
فمن غير الصحي لذلك الوادي
في روحك أن يملأه غناء سيل مر،
ومن غير المجدي التمسك بقشة إن داهمك الغرق.
انهض بعد أن تتشرب ملوحة الطوفان
وتطهر جسدك بها من درن الأوهام والخسران.
اجعل من عضدك مجدافا ينتشلك لبر الأمان،
ثم ابدأ من جديد لكن؛
بفكر جديد ووجه جديد.
وإياك إياك أن تقعدك الخسارة في دور الضحية،
وإياك أن تظن أن لدمعك أهمية.

وقفه ونظرات

- كان حبيبا وضعته في قلبي فكرهني
احتضنته فطعني، اشتريته فباعني
- كان صديقا رفعته فأسقطني؛
كنت على حافة جرف أوماً بيده
وعندما هممت بالقفز استدار وتركني.
- كان قريبا فتحت له بيتي فعاث فيه فسادا وغادرني.
لا يا عزيزتي؛
هو لم يكن يوما كما ذكرت، لكنه وهم عليه عكفت.
الصديق أو الحبيب أو القريب
الذي يتحول فجأة إلى عدو أو غريب
أو شامت أو انتهازي أو.... عابر،
هو هكذا منذ البداية لكنه أتقن لفترة التمثيل،
وليس بالضرورة أن يكون التمثيل نفاقا،
بل هي استراتيجية الأهداف لديه،

وكلُّ حسب هدفه؛

العدو همه مواطن الضعف
لهذا يكون قريبا من أنفاسك
والشامت همه أن يدغدغ مشاعره بصدى بوحك،
والانتهازي يتلقت أوتادا لخيمة نجاحه،
ولا يهمه همك.

أما العابر فهذا لاهدف له،
لكن الفضول يحركه،
لربما هالته هالة حولك
أراد بدخوله كشف كنهها عندك،
يأخذ لفة في جنبات حياتك
وربما يلتقط بعض الصور
كتذكار لحكايا انتصار.

وبينما تعدين له القهوة لتبادل الحديث
يغادر تاركا وراءه الأبواب مشرعة

لرياح خيبات بخطو حثيث.

انتظري في مكانك

ولا بأس بابتسامة لهم جميعا وهم يغادرون،

مع شكر لفضل قدموه وهم لا يتقصدون.

انحن لرياح الخيبة

كي لا تكسرك بسرعتها الرهيبة،

ثم بكل ثقة وهدوء أغلقي خلفهم الأبواب،

ومن الداخل رمي الخراب.

لكن من آثار دروسهم؛

ضعي قفلا على كل باب.

وغاب

أسدلت الستارة
ابتلع الصمت المكان
خلا المسرح
متى وكيف
انتهت المسرحية
وأنا في مكاني أشهق
ماالقضية ؟
أين بقية المتفرجين
أين ضحكات الممثلين
أذكر كانوا هنا أكثر
صوتهم كان يهدر
كيف خلت منهم الجلسات
كيف ابتلع الوقت الساعات
كيف غدوت

في مسرحها وحيدة
ضائعة شريفة
أتوسل الستارة
هيا أعيدي أيامي السعيدة
أعيديه من دنيا الغياب
فقد رحل معه الكل وغاب.

نشيء

لا زلت أزورك كلما ضاقت بي الحياة،
كلما هزني الشوق لتلك الأوقات
أتذكر يا أنت؟ تلك الغابة التي كنا فيها نلتقي؟
أتذكر كيف كان ينبت العشب تحت أقدامنا؟
كيف تزقزق العصافير لأفراحنا؟
أتذكر حكاياتي تلك؟
وقتها لم نكن نشعر بالوقت
وقتها كنت أحمل كل أعبائي لألقيها بين كتفيك .
كنت كتفي في الحياة وسندي بالملمات
كيف تحول كل هذا إلى بضع كلمات؟
لازلت أراك هناك مطرقاً
بين الأشجار على غير عادتك لست ككل نهار.
حينها تحدثت أنا كالعادة
لكنك لم تسمع كالعادة

بل أطرقت طويلاً وطويلاً.
وكأنك تلملم الكلمات
من بقايا ذاكرة المحبة،
لتنسجها بصعوبة بالغة
على شكل عذر واهٍ لإنهاء الحكاية.
لازلت أذكر كيف لم تجرؤ على رفع رأسك
وأنت تطلق على آمالي رصاصة الرحمة
على أحلامي كفن المحنة
تمتت بها ومضيت
ومن يومها
وأنا روجي تسمرت في ذلك المكان
أحلامي جرفها النسيان
آمالي شيعتها وكل يوم أزورها للاطمئنان.
عظم الله أجرك وأجري فيما دفنت.



حجر مرصوف

قاسية تلتهم لحوم البشر- وتصيد الأحلام، لكنها تُعلّم الإنسان كيف يصبح بطلاً بأبسط الأدوات، فقط إذا تخطى إرادتهم لكسر- روحه ولو كُسرَت ضلوعه، إذا صمم على إسباغ نوره ولو دسوا الظلام في حنايا فهمه وشعوره.

كان مسرّعاً يلهث راكضاً قاصداً حانوت العم زين، فلديه قائمة من الأعمال رتبها في رأسه الصغير، عليه مساعدته في وضع الطعام لمواشيه وحلب الأبقار ليحصل على أجر صغير يشتري به حاجياته. توقف فجأة وعاد خطوتين للوراء، إنه باب المدرسة، لأول مرة يراه مفتوحاً

_ لن أتأخر إذا ألقيت نظرة عليهم

دلف من الباب بخفة مستغلاً تغيب الحرس، وتسمر أمام باب أحد الصفوف.

خلف ضباب الدموع راح أكرم يطالع صورته وأصدقاءه يجمعون الأحجار، ويكورون كثران الرمال ليصنعوا ساحة لعب في زقاقهم

الضيق على أرض تراعصّ فيها الحجر القديم معلناً تماسكه أمام كل
عواصف الحت تحت أقدام أولئك الغرباء.

كان ذلك الزقاق ملعب طفولتهم المقهورة تحت نير الاحتلال،
ومدرستهم التي حرمهم منها حكم الأندال.

فيه يرسمون حياة كاملة كما يتمنونها طبيعية، عندما يهادنهم زمن
الحروب، وتخف عليهم قليلاً قرعات الخطوب، وهناك في ركن من
الزقاق اتفقوا على مكان؛ سموه بالمدرسة، وزعوا بينهم الأدوار بين
معلم ومتعلم وكان هو بينهم المنظم.

تذكر ذلك اليوم الذي كانوا يمثلون فيه طبيعية الحياة بين جدران
مدرسة وهمية، صنعوها من أحجار وأخشاب ليشعروا أنهم ضمنها
بأمان، وأن لهم فرصة للعيش في هذه الأوطان.

لكن صوت أزيز محرك ثقيل ونهب مجنزرات قاسية لأحجار الزقاق
المرصوف غزا حلمهم، ليستيقظ الوجع في قلوبهم والهلع يستعمر
حدقات عيونهم البريئة.

_لقد جاؤوا

صاح أحدهم وهرع الجميع للاختباء، إلا صديقه حسن تسمّر في
مكانه وهو يطالع وجوههم القذرة.

كانوا أربعة يجلسون على ظهر مجنزرتهم، وعيونهم يتراشق فيها الحقد مع تلك الابتسامة الوقحة التي ممكن أن تراها على وجه شخص تافه حصل على شيءٍ لم يكن يتوقع الحصول عليه يوماً.

ترجّل أحدهم بقامته الضخمة ومنكبيه العريضين، ووجهه بيضاوي ذي بشرة ليس فيها من البياض إلا اللون الظاهري يشوبه سواد نظرة حاقدة من عيون كستنائية دائرية زادت حدقتها اتساعاً، عندما رأى حسن ثابتاً في وجهه وبيده طبشورة كان يكتب فيها قبل قليل.

انتصب حسن بجسده النحيل فعاجله الجندي بلكمة وهو يصرخ في وجهه؛

_ ماذا تفعل هنا أيها العربي القذر، وما هذا المكان؟

هل اتخذتموه وكرّاً لإرهابكم

أعاد انتصاب جسمه بعد أن كان قد ترنح من تلك اللكمة و صوب نظرة حادة قائلاً؛

_ إنها مدرستنا التي حرمتونا منها

قهقه الجنود بصوت أثار اشمئزاز الطفل، لكن الجندي ما اكتفى بذلك، فوجه ضربة بعقب سلاحه على رأس حسن وهو يقول؛

_ عربي متخلف، لا تحتاج خدمتكم لنا لمدارس، ولن تجرؤ بعد هذه الضربة على حدجي بنظرة مستنكرة.

عليكم أن تتعلموا النظر كالعبيد.

سقط الطفل أرضاً بدماءً منسابة على الحجارة، وجسد يتلوى لكن الروح شامخة غالبت الألم، ورفعت الذراع بحجر أصاب الجندي بهلع، فصبوب السلاح نحوه وأمطره بوابل من الرصاص، ومضى - بنشوة انتصار بغيض على مجنزرتة تاركاً الفتى مسجياً بدمائه.

مسح أكرم دموعه دفعة واحدة بطرف كفه وهو يحاول مسح هذه الذكرى من رأسه كما وعد أمه، فيجب أن يقبل بالأمر الواقع كما قالت وعليه أن يمشي - جنب الحائط حتى يعيش بأمان؛ لكن منظر أطفال الغرباء على مقاعد الدراسة أشعل الغضب في شرايينه، تحسس قطعة الطباشير التي ما غادرت جيبه يوماً منذ استشهاده حسن، أخرجها ووجهه إلى آخر الدهليز حيث وجد سبورةً قد رُسم عليها علم الصهاينة فوق قبة الصخرة، وبكل ما أوتي من غضب غلب خوفه المتقهقر، وحرك قلم الطباشير فوقها ليطمسها، ويكتب؛ القدس عاصمة فلس....

قطع صرير الطباشير صوت تجهيز سلاح خلفه.

في ذلك البيت المقدسي المتهالك المسنود سقفه بعدة أعمدة، والمتشحة جدرانها بأوسمة الرطوبة؛ كانت تنكة الغسيل تغلي على الموقد وقلب أم أكرم يغلي على وحيدها الذي خرج ليشتري مسحوق الغسيل وماعاد بعد.

دمعة شهيد

لا عليك يا طفلي غير السعيد

عيشك كان عن الأُنس بعيد

خوفٌ، قهرٌ

ألمٌ، ذلة

مشاعر بينها وبين الطفولة باعٌ عتيد

من أهداك إياها

من أحرق بينك وبينها المسافات!

من خالف للإنسانية كل الرهانات!

كيف تجرأ على من هم للدنيا عيد

لا عليك يا طفلي

الآن ارتحت من كل هذا الوعيد

لكننا سيطاردنا السؤال

من سبق بالخروج

تلك الدمعة أم الروح

ماكان أصعب الجروح؟

خوفك أم حزنك

أم ألم الضربة التي أخرجت الروح

نم يا صغيري

نم لأول مرة دون نوح

فصباحك القادم هو الصباح السعيد

وصباح الظالمين نار ووعيد.

موعِد

كنا على موعِدٍ مع القمر
وخرافات تقول
مع اكتماله
ستحملنا دوامات الهواء
إلى عالم السحر
عالم الجمال
كوخ أحلام
على ضفة جدول
حوله أشجار بلوط
يحط عليها سموءل
أولادي أكمام زهر
في سهل أخضر
عشبهُ حرية
ترابه حنة الفرح الأول

وصحوت في كوخ الأحلام
على أمر ليس كمايرام
من بدّل عادة الأحلام
بساحرة شعواء
تبيع الأوهام
تروي حكايا عفاريت
من ذاك الزمان
زمان صياد ترصّد
لطيور الأمل سلبها الأمان
أخبريني يا ساحرة
كيف صار كوشي عجوزا!
من غطى الألوان برماد دخان
كيف خالف وعده معنا
القمر
وبعد مدّ فاجأنا بجزر
لاماء نعوم فيه

ولاتراب نثب عليه الجذر

قهقهت العجوز

قالت بمكرٍ وعلى مهل

هكذا الحرية التي

وعدكم بها القمر

غضب الكوخ منها

تنحج الخشب بقهر

تقولبت القناديل

بجناحٍ أبيض ناصع

بلون زكيّ الأرواح

ليطير بنا إلى عالمننا

بعد أن خوافيه صقل

الآن علمتُ

ماراحت دماؤهم هدر.

حبها

بذرةً انتشت في القلب
وردةً تبرعت في حنايا الروح
غيتُّ تهامل على ظامئ الحواس فتعهد زرعها بالنماء بعد يباس
هنا تعرش العناقيد على دوالي الوتين
فيعصرها خمراً يسكر الأنين
وأمام العين يغرس بساطه الياسمين
فيغدو كوخنا قصرًا مكين
وشوك الدرب عشباً ورياحين
هنا في وطني أنا كل شيءٍ حزين لكنه
جميلٌ جميلٌ جميلٌ.

سئغراب

إذا تلبّس الكون لبوس الفساد
وميزان العدل لأثقالهم انقاد
فلا حزن
ولا عتاب
ولا بفاخر الثياب بي إعجاب
أنا جلدي قميصي
ورث القماش يستر ماغاب
حذائي أديم الأرض
وكتفي لمصاعبها قباب
لكنما كانت نظرة استغراب.

شامي

مطعونٌ جسدي بالبرد
فراشي حجر، لحافي ريح
لكن دمي يغلي يفور
والدفء في قلبي تنور
ماهمني جوع وأنا في أرضي مزروع
أقتات العشب إن عز الرغيف
وإن هدم بيتي أبقى على الرصيف
كالسنديان واقف وإن مالت الهام
الروح مستعصية على الهوان
وعلى أرضي يحلو لي المنام
شاميُّ أنا
ولا يتخلى عن أرضه ابن الشام
جذوري أقوى من الأعاصير
سينمو جذعي القصير

ويدحض كل الأباطيل
في الأرض جسدي
وفي جنبات السماء دعاء يطير
(اللهم إني مغلوب فانتص)
وعلى دعائي ربي المجيبُ قدير.

حقوق هاربة

لمحتها من بعيد أزاحت ستار الركام
وحيدة مترنحة تتسند على الجدران
اقتربت منها رمقتني بحذر
ثوبها ممزق ، جسدها كثرت فيه الحفر
قلت لها بربك انتظري قالت دعيني
إنني في خطر
سأطرق كل أبواب الأمم
سأعرض نفسي على أولئك البشر
انسلت راکضة تعبر الجدران
وعدوت وراءها في كل مكان
أجنة تتمسك بأقدامها
أطفال تلهث خلفها
وعيون وقحة تمزق ثوبها
صرت ألتقط ماسقط

وأدسه في جيبي
وأركض أركض خلفها
لأستر بتلك القصاصات ما منها ظهر
وأثناء ركضي أقرأ القصاصات
من تحت كل الغباشات
لعب، تعلم، عيش بأمان
أكل، صحة، مأوى بجدران
وقبل أن أصل إليها ابتلعتها شاشة
ورجال ونساء ينظرون ببشاشة
واعترتني دهشة كئيبه
كيف صرت في بلد غريبة
وجوه وأناس وتراب جديد
لا ركام لا حطام ولا طفل يستغيث
أطلقت إلى الشاشة البصر
وجدتها
نعم إنها هناك

لكن أين ثوبها الرث
من مسح عن وجهها نثار التراب
وألبسها أحلى الحلل والثياب
قطع تفكيري صوت عبر الأثير
يرحب بحقوق الطفل في ذلك البلد الكبير
لوحث لها من بعيد بما جمعت لها من قصاصات الثوب العنيد
أومأت إلي أنا هنا ثوبي جديد
أعدهم معك إلى ذلك البلد البعيد
وقطع الإرسال أغنية عن الطفل السعيد.

أكمل دريك

خذه وامضِ بعيداً عن يد الجنون

أغلق عليه صدرك

وفي يدك احفظ وردة عمرك

فكل مصائبى بعدكم تهون

أنا أمكم الحنون

لا تنظر خلفك

دماؤ حطامٍ ركامٍ

هناك خلفك

لكنها لن تكون قبرك

يا ابن قلبي احفظ عهدي وارفق بأخيك ونفسك

أنتم عدتي وصحوتي من حرب المجون

أنا منكم ولكم أكون

لاتبالي بالمباني إذا دُكَّت

بأرضي إذا حُرِّقت فإنَّ العقبى لك

إذا كان صدق الإخلاص دربك

سيرحل الإعصار

ستزيل الدمار

وعلى صدري

ستغرس وردة الأحرار

هذه وصيتي لك

أنا أرضك

أنا لأخيك ولك

وأنتم صباحي الحنون

لعمري السنون

لفرحي أنتم الأهلون

احفظ أخاك وأكمل دربك.

اكسر عصاك

في عزّ عرجك

اكسر عصاك

وفي عزّ

امتلاء جوفك

بالحروف

اجعل الصمت

لها رفوف لا سواك

وفي عزّ سقوطك

أفلت يدك

ولا تسمح بمنّ من نجاك

في عزّ كل أنواع فشلك

إياك أن يظن أحدهم أنه ربح لك ومكسب، أنه يوماً أعطاك

وفي عزّ تحطّمك

لملم كسورك،

ولا تدّعي أنّ لا شيء أذاك

في نظرهم

زجاج مكسور

وفي إرادتك سيغدو

زجاجاً معشّقاً

يتحكم في درجات النور.

شموخ

بين شتات الروح وأشلاء العمر

وقفت تحصي ضربات الدهر

تتألم بصمت

وتخفي القهر

إلى أن

تبيست الساق جف الجذر

وراحت تراقب بحسرة وصبر

كيف تتساقط الأوراق لاحقةً بالزهر

معلنة اقتحام خريف الآمال ربيع العمر

لكنها شجرةٌ شامخةٌ أبدأً لاتحني الظهر

تموت واقفةً

هكذا شجيرات وطني الأغرّ.

فسيلة حق

كلُّ الدروبِ إلى كرامتنا تؤدي !!!
فأدِرْ ظهرَكَ للعالم يا أبي ،
ووجهَ وجهَكَ للذي فطرنا على الحريةِ
وجعلنا عن الذلِّ مفطومين !
اغرسني في أضلاعك فسيلةً حقًّا
واتركني أنبضُ فيك أمنًا
وأملًا وزهرةً محناةً بدمِ أمِّي
التي ضاعَ صوتُها تحت الركامِ ،
وتضوَّعَ عبْقُها بين الأنامِ !!
ماضِرَّ الأيتامَ أنَّ بيتهم انكسر..
فهم مسكونون بالحقِّ
والحقُّ في قلوبهم ساكن !!!
عجّلْ يا أبي فما عدتُ لرؤيةِ العالمِ مطيقاً ،
أخاف على الوهجِ الثائرِ في عيني أن يتلوثَ

بِكْحَلِ النِّفَاقِ الرَّاسِخِ عَلَى أَجْفَانِ الْعَالَمِينَ
وَهُمْ يَرْقُبُونَ مَوْتَنَا بِفَجْورٍ!!!
عَجَّلْ يَا أَبِي فَإِنِّي أَرَى التَّارِيخَ الْأَغْبَرَ يَكْتُبُ عَنْكَ:
“هَذَا ابْنُ الشَّامِ تَأَبَّطَ شَمْسًا وَحَقًّا وَخَرَجَ..”

من خلف القضبان

إنه قفص..مجرد قفص..
رغم دقة صنعه وجمال تركيبه
رغم وجود الحبيب فيه
رغم الجمال المحيط به
والزهر الذي يجدل مع قضبانه
لا يعدو كونه قفص
يخفي خلفه آلاف القصص
ومن خلف حديد المرتص
أناجي ذلك الغصن وله أقص
أحنُّ إلى تلك الغصون المجدولة
بالشوك والزيتون لكنها حنون
جذابة تمنع القلب أن يخون
ومحال لغيرها أن يكون

رغم الألم رغم الجراح
رغم ماكان وما يمكن أن يكون
سيظل ذلك الغص حلمي المجنون
ودعائي المكنون بأن تغلب بركة الزيتون
أسلاك الحقد والشوك المسموم.

رداذ عمر

عيون غائرة في
بحر تجاعيد الزمن
ملاح ذابلة في
حديقة جفت سواقيها من المحن
نعم هناك فم
لكن قُيِّد فيه اللسان وأُخْرِس النغم
وفي متاهات العروق تاهت صرخة ألم
وحين لم تجد مخرجاً لسمع من بهم صمم
غيرت نواميس الكون
وانرسمت على الوجه صرخة الألم.



طرفة مونت

لم أكن أنتظر أحداً، وليس من عادة باب غرفتي في الفندق أن يُطرق إلا لاستلام فواتير مستحقة، أو بريد من (الجوب سينتر) الذي أرهق كاهلنا بكثرة مقابلاته، لذلك توجهت بثقل في الخطوات، وتراتيل ندب يرددتها لسان القلب؛

"متى نستريح من خطاباتهم التي تذكرنا كل يوم بفضلهم علينا "

رسمتُ على وجهي ابتسامة باهتة للموظف، وشكرته بلباقة تعودنا التزامها في هذه البلاد، بينما جهزت جوالي كالعادة لترجمة ماورد فيها ، لكنني تفاجأت وللحظة فرحت؛ إنه خطاب باللغة العربية ، كم جميل أن تتلقى خطاباً بلغتك وتقرأه بجوارحك الطبيعية دون اللجوء إلى جوارح ذلك الجهاز الذي احتل أماكنها هنا في بلاد الغربة؛

- "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ إخوتي الأعزاء.."

خفق القلب وهلل يامرحباً بإخوة اللسان، ومالبثت تلك البسمة أن يبست وأنا اقرأ اسم جارنا أبي سعيد مديلاً بعبارة رحمه الله، ومرفقة بالتماس مساعدة مالية لنقل جثمانه إلى بلده سوريا كما كان قد أوصى قبل وفاته .

نظرت إلى التوقيع وجدته باسم زوجته فاطمة، وأمام اسمها أخذتني الذاكرة إلى يوم كئيب من ثلاثة أشهر مضت.

أقف مع ثلة من نزلاء الفندق لنلمح كل أنواع الخيبة و الانكسار على وجه أبي سعيد بين اثنين من رجال الشرطة الألمانية تنفيذاً لأمر إبعاده عن أسرته كيلا يلحق بهم الأذى، صرخات ابنه ذي الأعوام العشر— ترددت في سمع كل كياني الآن؛

_ اتركوا أبي ،أنا أحبه وهو لم يضرني ،أخبريهم ياأمي أنه جلب لي معه لعبة البارحة ، قولي لهم أن نكهة الحلوى اللذيذة أجمل بدفء يده الحانية

_ ادخل غرفتك الآن ،سيغيب لبضع أيام ويعود بعدها وقد تبدل حاله للأحسن

قالت هذا فاطمة وهي تحجز ابنها عن اللحاق بأبيه وتحجج زوجها بنظرة وقحة؛ نظرة انتصار الخسيس في معارك الظلم.

شيعنا أبا سعيد بنظرات كسرها الدمع؛ تعمّدا عدم التحديق فيه كي لانزيد عليه صعقات الخيبة التي جلّلت الموقف،

وكانت تلك آخرة مرة أراه فيها. أذكره جيداً الآن بقامته الطويلة التي لا أدري إن كانت هي من أجبرت كتفيه على الانحناء للأمام، أم طول العهد بأسقام الروح في حرب مع الحرب وحرب مع زوجته بعد الحرب، لكنها لم تحن فيه يوماً إشراقة الطيبة في عينين سوداوين ضيقت تجاعيد خمسين خريفاً مساحة محجريهما.

كان ابني دوماً يداعب خصلات شعره التي أطالها من جهة اليمين ليغطي فيها مساحة الصلع بردها وتثبيتها نحو اليسار، وعند مشاكسته وسؤاله عن السبب يضحك ضحكته المجلجلة وهو يقول؛

_ (هيك بدها خالتك فاطمة، لازم نضل شباب) ويغمز بعينه نحو زوجته ويقول؛

(ماعاد عجبها العجب من يوم دخلت ألمانيا)

تضخم صدى صوت هذه الكلمات في رأس ذاكرتي، واستحضرتُ صورتها بكامل أناقتها في جمعاتنا وهي تختال بحديثها الذي ماتفتأ تعيده بأساليب وصيغ شتى وكلها بفحوى واحد؛

_ يقولون لي دوماً أنني أبدو كابنته لا زوجته

_ حقاً أنت مدينة بهذه السعادة لمساحيق التجميل

_ غريب كيف أن الرجل يهرم شكله مع العمر بينما المرأة تزداد شباباً وجمالاً

_ الغريب كيف استطاع العطار أن يصلح ماأفسده الدهر

دقائق استطالت لساعات بل لشهور لم أستفق منها إلا على صوت رنين الهاتف ورقم صديقتي وجارتي رهام؛

_ بالتأكيد وصلك الخبر

-نعم إنني أحاول بلعه الآن-

_سننزل للصلاة بعد ساعة لتعزية فاطمة، أعلم ماتشعرين به وهو تماماً ما يخالجي

اختفى صوتانا بغصة نعلم كنهها ولم نستطع التعبير عنها.

في صلاة الفندق اجتمعنا على طاولة لم يميزها إلا خلوها من أي شيء سوى فناجين القهوة المرة، وللأسف لم يكن له من طقوس العزاء إلا تلك القهوة، حاولت أن أرتشفها رغم كرهها لها، عليها تعيد بعض التوازن إلى رأسي الذي استمر بتضخيم الكلمات وكأن حروفهم معاول تضرب فيه؛ عفواً لم تكن حروفاً، بل كل ماأسمعه أرقاماً يحاولون جمعها وطرحها من رقم تكلفة إعادة جثمانه لبلده .

همست صديقتي رهام وهي تقرأ ما في رأسي؛

_كيف يتحول كل شيء فينا في الغربة ؟حتى مجالس المواساة باتت مسائل حسابية ولغتنا استبدلت بحروفها الأرقام .

_أرقام نحن من بداية الحرب وقبل الغربة

أرقام تشير إلى عدد الضحايا وعدد المهاجرين وعدد الغرقى وعدد المعتقلين

أرقام تشير إلى دورنا باستلام المعونة ،وإلى رقمنا على طابور الخبز والغاز وإلى عدد الأرغفة مقسماً على عدد نصف الأولاد

_ لا تذكريني بتلك الأيام، كم كانت شديدة، وكم كنا أشقياء

ابتسمت بمرارة وقلت لها؛

_نحن الآن أكثر شقاءً، والأرقام باتت عداداً لهزائمنا الروحية، جارنا الطيب كان يستحق عزاءً أفضل، كان يستحق حياة أفضل، كان يستحق أن يموت بين أحد من أهله لا في غرفة منفي صنعتها له قوانين بلد ولؤم زوجة.

وقفت معلنة انسحابي من مجلس النفاق هذا، وقبل الانسحاب طبعْتُ في ذاكرتي جيداً الرقم النهائي، تكلفة عودة الجثمان إلى أرض الوطن، كي أبدأ بجمعه منذ الآن.

قُبَيْدُ الرَّحِيلِ

أحَقّاً دَقَّتْ سَاعَةُ الرَّحِيلِ!!!؟؟؟

هل انتهى مشواري، وانحرف المسير

مالي أقفُ في المنتصف!

في برزخ الشعور

لا أمضي ولا أقف

جسدٌ تَسَلَّخَ من الروح وعنها انصرف

وخطوتُ في الهواء

في العراء

على صفحة ماء

لا أدري كيف خطوي ارتصف

عينٌ على مجهول المصير

وأخرى على ماضٍ جميل

وبينهما حَوْلٌ ونظرٌ عليل

يحاول أن يجد في الحاضر له صف

وقلبٌ يللم من الطرقاتِ
أحجاراً وتحف
يُمسِّدُ التراب
يحضن الأزهار ويغفو من السغب
عفّرت يدي بالأرض قلت له قف
التحف التراب
اختار الأحباب
وعني تخلى
هكذا أقرّ القلبُ واعترف
ودقت ساعةُ الرحيل
فللم الجسد النحيل
بقايا رمقٍ ضئيلٍ وإلى مجهوله
انصرف.

في نوبة حنين

وزعتُ وروداً
على ضفّتي السطور
وبينهما سهلٌ أخضر
تشرقُ عليه الشمسُ
فيلتمع ويثور
يهب شجرات حقله
الغذاء لتصنع مع الضوء
اليخضور
ومن ذلك الزمن الجميل
استحضرتُ بعض الطيور
لتستقبل بالتغريد ذكرى
ذلك النور
وطربتُ
رقصت الذكريات

على أغصان حقلي
غردت تلك الطيور
وحدها الزهور
تعبت واتكأت على السطور
عابتها بصمت المقهور
تدلّت أوراقها قالت
مانفح الحقل!؟ مانفح الطيور!
أريد اليد التي رعيتني من دهور
افتقدت لماء يدها أوراقي
عطشت كل أعماقي
ذرفت من عيني دمعة
لأنقذ بتلات الزهور
لكنها فاضت من فرط الحنين
أغرقت الحقل
تمزقت ورقة الذكريات
من فرط الأنين

تَباً لَكَ وَلَوْ فَائِكَ
أَيْتَهَا الزُّهُورُ
فَلَقَدْ أُيْقِظَتِ
مَنْ كَانَ بِالذِّكْرِى مَخْمُورِ.

أرق الذكرى

جفون متعبة ووجنات بالدمع مقروحة
رؤوس كأسنمة البخت مائلات من التفكير
وأطراف مجمّدة من صقيع العجز
وضجيجٌ ضجيج أعلى من تواتر السمع
وأدنى من هالات التقدير
يراود النعاس ذلك الأرق المتعفف عن نفسه
فيطوف في خيالات الزمن الأصيل
زمن الألق والأصالة
والنضار يصبغ الأفكار
فتعود لمقاعد الأطفال
تمسك بيد باسم ورباب
وتنتظر ميسون عند شارة المرور
وأمام اللون الأحمر يلف الكون فيها ويدور
لون الدم في شوارع بلادي

لون كل محذور توقفت عنده خطواتي
لون الحريق في غابات سعادي
أين عمي منصور النجار
ولماذا لم يعد يضحك في يده المنشار
وتتساءل الأفكار
أين زمن النضار
ألم نكن فيه نجول منذ قليل
في زمن الفرسان الأصيل
آه من خداع البصر
هذا اللمعان ورق خريفنا الأصفر
وذلك الفرس من ورقه المتقهقر
الآن علمت ما القضية
قد خسر النعاس معركته بالكلية
قَدْ قَمِيصُ الأَرَقِ من دُبُرٍ ولكنْ
فتح الأبواب السبعة
وتخلى عن الحلة القرمزية.

عامان وثقب

عامان ومسافة قلب
وزهر بنفسج حاك درب
أوله ياسمين
وأخره زهرة الذرة الزرقاء
وشتان بينهما في الصفاء
وخط أفق شَطَرَ السماء
تظنه على قرب
وتمتع النظر والقلب
ولكن
ما أطول الدرب
باعدت بيننا الخطوات
وصار الياسمين حبيس المسافات
ومن الأمس الجميل
يبرق ضوء على دمع القلب

فيطرز المدى بقوس قزح
يبهج العين يسرق اللب
أقف وحدي أشيع الفؤاد
يجري بخفة وامتداد
ليمتطي القوس إلى ذاك الواد
في بلاد الجمال والحب
وأنا هنا وحدي أنا
لا يبعدني عنها
سوى عامان وقلب
اختارها هي
وترك في جوفي ثقب
به أعيش في بلاد الغرب.

قنبلة

تمضي السنون في الغربية ..
تسلبنا كل شيء صحتنا ..جمالنا..
حتى كل أدوات التجميل التي كنا نستخدمها
لنبدو سعداء .
نعري من كل شيء كشجرة داهمها الشتاء فجأة
ولم يمهد لها بخريف..
فجأة نرى كل شيء يتناقص
ليتلاشى في عالمنا الخارجي
بينما حمم بركانية تتكدس داخل نفوسنا وتتناسب عكسا"
مع كل شيء هناك يتناقص
أثقلت صدورنا ..
ضغطت على مجاري التنفس ..
منعت أوكسجين الحياة
لا ينقصها سوى شرارة ..

شرارة واحدة ونبفجر في وجه هذا العالم الأحمق

هذا العالم الذي رسب فينا

كل مآسي الحياة

وبدل أن تتحول مع الزمن إلى مستحاثات..

تحولت إلى قنبلات موقوتة

تهدد كل الحياة.

شلو حلم

لآمالنا المصلوبة على أعواد السنين
لأبصارنا المعلقة على شبابيك الخرائط
لأرواحنا الهائمة في فيافي الانتماءات
لسوق غراسنا على مقصلة الاقتلاع
للجذور المتعفنة في تربة مالحة
نرسل غصن زيتون مع زاجل الصبر
ندعوهم لنخب الحلم
سلافُ دن حلال
وعريدة بريئة
نضحك فيها مع الزمن
على شفاه حلم
نطبع قبلةً وسن على جبين الأرق
لنعمد الأحجية بأجاج الرؤى
إن سكنا فيه مات فينا

هل نهاجر ؟ ليحيا فينا شلو

وتدفن في تربته أشلاء

نسقيها بعق الحلم iii

نحن براعم الصبر

قرايين الوطن

أبناء القهر.

ناه الوقت

ولم يعد يتقن العد
أين عهده الأول
وتراقص العقارب
على نبضات القلب
أذكر كانت الساعة السابعة
موعد الإفطار مع ضحكات رائعة
ثم في سباق مع الدقائق
نسرع العدو عبر الحقائق
وفي الثامنة نصطف بانتظام
ونلقي لعلمنا السلام
وبين سلام وسلام
نقضي أمتع وقت
أما وقت الظهيرة
فله نكهة أثيرة

مع رائحة طبخ أمي
المنكه بابتسامتها الأصيلة
كم أشتاق إلى كوب شاي
نختم بها غداءنا
مع أحاديث إخوتنا
وقرارت أسرنا
هو الآن مناي
ودقت الساعة التاسعة
معلنة عن زائرة
إنها بطاقة السفر
يالها من غادرة
سرفت من يومها
كل الدقائق
وكسرت العقارب
وفقد الوقت الوقت
وتاه وضاع في مسارب

تسرق العمر
تأكل السنوات
والضحكات
بلا مخالاب.

حقيبة السفر

آه ماأقساك يا حقيبة السفر
ماالذي أثقلك وجعلك كالحجر
ماذا أحمل فيك!؟ وهج الشمس أم نور القمر
تغريد العصافير أو حتى صدى حفيف الشجر
بين ثناياك سأخبي أصوات البشر: ذكريات الأمس وحكايا السمر
صدى دعاء أمي أم حلم ابنتي المحتضر
لهفة أخي ودفء حديث أختي في السهر
أم تلك الضحكات مع رفاق الطفولة والعمر
سأعطر قماشك بعبق الياسمين المتسلق على الجدر
و بين ثناياك نكهة التفاح من حقلي المنتظر
وسأسير بك دون مظلة لتتشربي كل زخة مطر
آه ماأقساك يا حقيبة السفر

مالذي أغراك فينا لتكوني مصيرنا اللامنتظر!؟

لكنني سأحملك وأنتظر على رصيف الضجر

متشوقة للعودة شوق الأعمى للبصر

هكذا حكم القدر..

والحمد لله..

له حكمة في كل أمر وخبر.

كيف أجرك

لست بحاجة لأن تعلمني كيف أحبك

فقد سرى حبك في الشريان

وزفر الشوق في الوريد

افترش الحنايا

وأزهر عند نهايات الأعصاب

أنت تعلم كم جميل منظر الزهر

لكنك لا تعلم

كم مؤلم أن يزهر هناك

تصعقني كل الحواس

تنقبض العضلات

وتحدودب تحت وطأته هامة العمر

أعلم أنني أراك في كل الوجود ولا أراك !

ما إن أشتم عطرك مع نسيم الربيع

حتى يقرصني زمهرير الشتاء

أمدّ ذراعي لأسلب دفء أحضانك؛

فيتأرجحان في الفضاء

أحاول ربيّ الصدا في ظل الغياب؛

فيسخر مني السراب

برموش العين أحاول فتح الأبواب

لأراك هناك حيث كنا

ورحى الموت في بيادرنا

ماتطيرنا ولا كنا هشيمًا

وكانت إرادتنا والعزيمة

ها أنا أجري لألقاك ولكن

هيهات

رياح الغربة غلّقت الأبواب

اقتلعت الخطوات من الخطوات

ورمتنا في مسارب وفجوات

وبقيت الروح هناك لاتبرح

بل تواصل رغم رحيل اليد

طرق الأبواب

والصوت الصارخ بأعلى صمته؛

علمني كيف أجرك عندما أفتقدك

يا وطني في مدن الغياب.

السفر الأخير

لم أكن أعلم حين جهزت حقيبة السفر
أنها ستلتصق بيدي لاتفارقها؛
ولم أكن أعلم أنني دخلت بقدمي
في متاهات متداخلة من زمان
ومكان وأشخاص وتجارب.

لم يكن في بالي

عندما وصفتها بالحجر يومها أن تنقل
أحجارها إلى داخلي لتكمل بناءها الصخري
لبنة لبنة مع كل منعطف وفي كل خيبة
لم أكن أعلم
أنني سأنحني مرارا وتكرارا
لأعيد ترتيبها
حتى لاينوء كتفي بحملها الثقيل؛

تارة أخرج منها دمعة
لأضع عوضا عنها خيبة،
وتارة أخرج طموحا
لأفرد مكانه سرايا
لم أكن أعلم
أنه بات من حق الغرباء رفاق الطريق
أن يدسوا فيها شيئا كلما فتحتها أمامهم،
أحيانا كنت أبحث عن ضحكة منسية في زاويتها
من زمن الضحك الجميل،
وأحيانا أبحث عن دمعة عليهم يجففونها
فقد بللت معطف الصبر
وبات باردا حين ألتحف به وقت الأصيل
لم يكن في نيتي
أن أجعل منها معرضا سخيفا للأحزان،
ولا مسرحا للفكاهة

ولا كتفاً ضعيفاً للتربيت ،
بل كانت هذه عادة من أيام سفر الصغر
حيث كنا نتشارك
ما في الحقائق لنصنع لرحلتنا
ثوب متعة جميل
لم أكن أعلم
أن في كل محطة سفر سنغادر
بحمل في الحقيبة كبير ،
ليتني ما أكثرت من تلك المحطات؛
هاهي هامة الروح تنحني
ومازال طريقي طويل ،
إذن فليكن السفر الأخير
وعندما فتحت حقيبتي لأحدد الوجهة،
وجدت كل أشيائي ،
دمعةً وضحكةً صفراء،

أَمْلاً يَصَارِعُ الأَلمَ،
وَشِعَاعَ طَمُوحِ يَقَارِعُ الظُّلْمَةَ
عَلَى مِشَارِفِ الرُّوحِ،
وَجَدْتُ كُلَّ شَيْءٍ إِلا نَفْسِي
فَأَعْلَنْتُ إِلَيْهَا (السَّفَرُ الأَخِيرُ).

عليك أن تثقف الآن

قد تأخذنا في بعض الأمور لذة الوصول،
وفي أحيان أخرى ملل من عمرِ خانة المحصول.
فنسير ونوغل في مسيرٍ تعوزه المنارة وعلى المطبات بعض الإشارة.
قد تختل كفتي ميزان العطاء،
وتغور الأولويات في رمال صحراء صنعائها
فنستحق الغرق فيها بجدارة.
نخوض غمار شخصيات جديدة
ورغم الإشارات العديدة نتجاهل النداء
نفتح ملفاتنا بغباء ونعرضها بوجه بعيد
عن كل ما تحلينا به من ارتقاء
ونتجاهل النداء...
نغوص في عمل حتى الثمالة
ونترك بقية عملنا على الحظ اتكاله
ونتجاهل النداء...

نعطي لأنفسنا قيمة أكبر بكثير مما نستحقه
في درجات التقدير فتكون الخيبة المصير
ونتجاهل النداء...
وعندما تنهك الروح المفارقات
ويهد الكاهل أعباء الحياة
تضرب عواصفها في سمعك؛
-عليك أن تتوقف الآن-
تعلن مسام روحك على صمم أذنك الادعاء؛
فترضخ خانعة لذلك النداء.

من يخدع الأقدام؟

في تلك الحدائق المزهرة مناظر تدغدغ الأحلام
أشجار وعصافير وبين الأقدام يتمشى سرب حمام
وعلى ضفة الراين نحاول ببعض الفرحة أن نغري الأيام
نخدع الذاكرة بجمعة مع أصحاب من ذلك المكان
نخدع القلب بأحاديث وضحكات يتخللها بعض الطعام
وربما نجحنا لبعض الوقت وغفت الحواس على هدهدة الأوهام
...ولكن

من يخدع الأقدام!!!!؟؟

تحت أديم هذه الأرض ليس لي أجداد أو أصل يُرام
ترابها يجافي قلمي لا يضمها بحنان
أشعر بخطوتي تتهادى في هواء مخلخل الذرات، وفي وزني أشعر
بالانعدام
لا قانون الجاذبية يشملني ولا إلى السماء ساربي الركبان.

انقسام

في برهةٍ من الزمان
تخاصمت الروح مع الروح
انشطر القلب في كل الأركان
جسدٌ سكن الغربية
وروحٌ تتهادى تتهادى
تحارب السكينة
تحارب الشيطان
وذاك القلب لا يدري أهو هنا
أم مع الأهل والخلان
ممزقون نحن أينما كنا
مترعون خيبةً في كل مكان
لاتشبثنا بالأرض
ولا تأقلمنا مع هذا المكان

ومع تلك الروح في ترحالٍ دائمٍ

عبر الزمان عبر المكان

فمتى نستريح من السفر!؟

متى يستقر بنا المقام!؟.

ذات يوم

ذات يوم اكتظت سماؤنا بالغيوم
وفي دروبنا أخذ الضباب يحوم
تبعثرنا، تصادمنا، جرّبنا كل الطرق وما سلمنا
ومضى كلُّ في طريق
لم يعد لأحد رفيق
ومنذ ذلك اليوم أعلنت الحواس الصوم
وفي ضبابنا لم نحسن العوم
نبحث عما يسد جوع الحواس
يروى عطش الإحساس
وفي القلوب يصرخ وسواس
أليس من فطر لهذا الصوم!!!؟؟.

قصة بلا عنوان

يحدث أن تكون قصة بلا عنوان

افتتاحيتها شعراً رناناً

حبكةً غريبة

لاتميز العقدة في أي مكان

والأحداث تمررت على التسلسل

فرط عقدها عن محورها

من شدة الدوران

قفزت فوق حدود المكان

استدرجت عقارب الزمان

استدرجتنا كلنا

في غفلةٍ لم تكن بالحسبان

وذاات يقظةٍ....تساءلنا

كيف؟.....متى؟

من؟.....ولماذا؟

ولم تكفنا كل أدوات الاستفهام
كيف بتنا أبطال هذه القصة!؟
وهل هي حقيقة أم أوهام!؟
قد تعبنا من الأدوار
قد مللنا الانتظار
ضعوا النهاية
أو أرخوا على مسرحها
ستار الأعوام.

نغيران

- هل أنتِ في صراع أفكار متضاربة بين التقدم والرجوع ؟
- هل أضحت تلك اليد التي تعبر بك تقاطعات الحياة خشنة؟
- هل أضحت المجاملات شريطا حريريا يغلف الكلمات؟
- إذا لمستِ تغيرا من الآخر أيا كان موقعه من إحداثيات الروح
صدقي فورا حدسك الأول ولا تكذبيه بالأوهام
- ثم إياك والرحيل المفاجئ ذاك الذي تنسين فيه أن تخلي رداء
مشاعرك بعد بزوغ شمس الحقيقة الحارقة
- إن فعلتِ فأنتِ إذن مارحلتِ
أنتِ في دوامة وقف التنفيذ
- أثقل خطواتك عرق يتفصد منه جبين لفحته الشمس فأغرق
معطف مشاعرك بملوحة الوجد
- خذي وقتك واسمحي لذلك البريق الذي شغفك أن يخبت ؛ ابقِي
بالقرب قليلا ريثما يتمزق ذاك الرداء من توالي طعنات الخيبة
- عندها وعندها فقط تزهدين به ويسهل خلعه فتجففين نفسك في
الشمس وتسيرين في درب الغياب بلا أسف.



تلون

- تبا لكم؛ أنتم من أجتمت الحرب في بلادنا وأتيتم بنا إلى هنا.

لاتفخر فاك هكذا كالأبله أيها الغر المعتوه.

هيا انظر إلي ، أتراك لا تملك الشجاعة؟ أم أنك محرج لأنك لم ترد
على سؤالي البسيط؟

لعن الله الحروب التي شطرت دروبنا وقبح الله أرضكم التي ابتلعتنا
ذات زلزال. لو كنت في بلد عربي لتسابق الناس لإرشادي، أنتم
عنصريون

تمتمت بالكلمات، وانا أقذفها في وجهه لتصطدم بصفحة خده الباردة
البيضاء، فتتكاثف وتتساقط قطرات لامبالاة عند قدميه.

لم يكلف نفسه هذا الغر حتى بالنظر إلي بعدما أشاح بوجهه عندما
هممت بسؤاله عن المحطات التي يمر بها القطار.

تنحنت في جلستي، رفعت رأسي إلى خريطة مرسومة فوق الكرسي
الذي يقابلي،

حسنا إنها توضح المسار، لكنني لا أفهم شيئاً، خطوط متداخلة مع
كلمات ألمانية صغيرة جداً،

استغلّيت وقوف القطار في محطة ووقفت قبالة اللوحة محاولة تتبع
الخطوط

- أسمحين لي بالمرور؟

التفت ناحية الصوت، شابة شقراء أفرجت ابتسامتها اللطيفة عن
أسنان كاللؤلؤ

وانسدل الشعر الذهبي على الكتفين العاريتين.

أفسحت لها وعندما أوشكت على السقوط أرضاً أمسكتني وسألتنني
إن كنت بحاجة لمساعدة.

أخيراً جاء الفرج، فبعد ذلك الشاب العشريني الذي أشاح بوجهه عني
لم أجرؤ على سؤال أحد.

- يبدو أنني ركبت في القطار الخطأ

أريد الذهاب إلى "كالك بوست"

أجهدت نفسي - كثيراً ، اعتصرت ذاكرتي حتى كونت هاتين الجملتين
بقواعد صحيحة، إذ من المعيب وأنا بهذا السن أن أتفوه بجمل
ركيكة كالأطفال ، أو هكذا كان يخيل إلي.

-حسناً عليك تبديل القطار ، بعد محطتين نصل "نوي ماركت"

انزلي فيها واركي القطار رقم "9" لكن من جهة اليمين

أصغيت جيدا وأنا أحاول مقابلة كلماتها بصور خزنتها في رأسي،
وبجهد جهيد وصل دماغي في ترجمة الكلمات إلى جهة اليمين.

فغرت فاهي آه كم مرة حاولت التفريق بين "links" و "richt"

وأعود لنسيان أيهما اليمين، حركت يدي بحركة لا إرادية كي أتذكر
حركات المدرسة وهي تحفظنا الكلمتين.

مع حركتي سقطت محفظتي وتناثر ما فيها.

شاركتني يد أخرى في لملمتها وإعادتها للحقيبة.

نظرت إليه لأشكره لكنه التفت بسرعة ومضى- إلى حيث كان يجلس
قبالة مقعدي.

لا أعلم لم ينظر إلي هكذا!؟

أمره غريب حتى ملامحه محيرة لاتستطيع أن تجزم إن كان عربيا أم
غريبا من جهة، ولا تميز نظرتة إن كانت ودية ام عدائية من جهة
أخرى.

وجه بلا ملامح تعبير

-حسنا يا هذا إن كنت غربيا فليس من عادتكم التحديق في الوجوه،
لابد أنك عربي إذن

ابتسمت لا إراديا لملمس اسم العربي على أديم نفسي، لكنه ظل على
جموده.

حسناً؛ لابد أنه عربي بالغ في الاندماج

استغرقت معي عملية التفكير زمن وصول القطار إلى المحطة، وعندما لاحظت تلك الفتاة الألمانية شرودي اقتربت مني وقالت أنها ستنزل معي لتوصلني بنفسها

-كم أنتم شعب لطيف، لقد احتضنتمونا في حين لفظنا الأخ والشقيق، هذا هو الغرب الرحيم الذي تفاضل على العرب بنقطة في الكتابة ونقاط في الأخلاق.

طربت لكلماتي ومسحت على رأسي بحنان كما يمسخون على رأس حيوان أليف، وفي لحظة الامتنان تلك التقطت لي معها صورة تذكارية قبل أن تودعني.

في اللحظة التي تلتها، ومع التفاني لركوب القطار غافلني جامد الملامح ذاك وسرق حقيبتي. انكفأت على وجهي من قوة السحب.

كيف هذا وما العمل الآن؟ على من أصب جام غضبي وأكيل الشتائم؟

تقدمت يد لترفعني عن الأرض، أشحت بوجهي مع شكر، وقررت أن أنهض وحدي هذه المرة

في اليوم التالي صوري تملأ الشاشات

وكيل عبارات مديح للشعب الإنساني الذي احتواني رغم جهلي وقلة
حيلتي.

تسمرت أمام الشاشة، انتظرت الخبر التالي هيا وجهوا الكاميرا إلى ذلك
الذي سرقني.

أغنية تتحدث عن السلام تنهي الخبر، أعقبها إعلان ممول لشركة
أسلحة.

إلى سنبلة

تظن السنابل أن المنجل قاتلها وماحدّه إلا.....

برزخٌ بين حياتين

كم من منجلٍ هوى على عنقكِ

وكم ارتكبتِ من حماقات

وأنت تنظرين نحوه باستجداء تارة

وبخوف ووجل تارة أخرى؟

أوظننت حينها أن نظرةً تكسر النصال؟

أم أنك توقعت أن يرتدي من العطف أسمال؟

حسنًا لاتجيبني؛

أنا أعرف أن الله بطيب القلب مبتليكَ

وبفيض وفاءٍ انتشى الحبّ فيكِ

تلك اليد التي تحمل المنجل

لم تنسي أنها كانت ترعاك بالمُقل

ساذجةٌ أنتِ؛

لم تفهمي بعد معادلات الحياة
ومنطق المصلحة في المعاملات
هذا دأب البشر بالذات

لا.. لا تحزني ولا تنحني

إلى الشمس ارفعي الهامة

واستقبلي المنجل بلا حتى ملامة

لا لن تكون الضربة القاصمة

بحدّها ستتركين حدود حقله

وتغزين برباطة جأش الحياة العامة.

صبيحة العيد

أغزل من أشعة الشمس

دثارا صيفيا

وأكمل حلمي من جديد

أرسم ابتسامة وطن

وأقدم عيدية جبرٍ لأم الشهيد

ألثم يد أمي

وأقبل أخوتي

وأحضن ابنتي

في ساحة بيتٍ ضم فرحتي ذات عيد

صبيحة العيد؛

سأحوك من ثياب الإحرام وشاحا

ناصر البياض أسدله على قلوب أبناء وطني

ليطرد الرفق كل مشاعر الوعيد

صبيحة العيد؛

ألملم كل (خير) أتتني بعد (كل عام)
وأرسمها مظلة دعاءٍ ترد قيظ السوء عنكم
يا أنتم يا من شقق القهر أديم عيدكم السعيد

صبيحة العيد؛

أرسمك شمساً سوريتي
وفي بلادنا لاتخلف الشمس وعدّها
مع الإشراق في كل يوم جديد.

أوراق الفصل الأخير

ق.ق.ج

صفحة الهواء

بلا إرهاصات غزانا الصقيع؛

ساحات عالمنا الخارجي خلت من دفء وجوههم.

أعلنا إلى الداخل الانسحاب، التحفنا أنفسنا، تكدس في قلبنا ركام
مشاعر وحطام كلام،

ندبنا لها الورق والأقلام، تعرقت الكف من دفء الذكرى، انزلق القلم
ترنحت الفكرة، سخرت الورقة همست برقة؛ خُذعتِ مرة أخرى ،
على صفحة الهواء كنتِ تكتبين.

.....

حلم

في غفلة من دجن؛ بين طيات تقويم باهت عثرت على حلم قديم،
بعثرت عنه الغبار؛ غسلت رث الثياب بنهر الأمل، نشرته
على أسوار الليل، سرقه النهار.

.....

مشهد

تلك المسرحية بدأناها بالعقدة، أشعرت الجميع بالإثارة، وعندما
انحنينا لتحية الجمهور؛ امتطوا ظهورنا... وأسدلت الستارة.

.....

استفقال

المحاولات العديدة لإثبات نجاحي الخاص تكللت بالنجاح، وعندما
دعوته للتدشين... ناولوه المقص.

.....

جَزَف

ثلوج المشاعر التي راكمتها على جبال كبرياء؛ صمدت في الربيع،
مرت أعياد النيروز بسلام،
داهمتها شمس خريف،
انصهرت في سيل وتركتها ثغاء.

.....

هجر

قدح زناد مشاعرها. عندما جفت عروق كبرياتها الخضراء احتطب من
صدرها لموقده.

غفى قربه على كرسية الهزاز ، راح يحلم بحديقة نضرة.

.....

شهاب

كان فارس أحلامها وتجسد في الواقع؛ غمرتها الفرحة احتضنت
الأحلام ، على سطح نجمة أرادت أن تقضي معه حياة مشعة لا
تطفئها الأيام، خف بريق النجم ، تسلل الظلام إلى الروح ، سآتي
بقبس لنجمنا ، هكذا قررت وهي تلقي عليه الملام ، لكنه حرق أرض
الأحلام وتهادى نيزكاً بعد تبادل الكلام.

النهاية